

رجال من بلدي (2)

شيخ الكيمياءيين طارق إسماعيل كاخيا

رحلة بين العلم والجهاد والإيمان

دراسة لشخصية يحتذى بها كل فتى وفتاة ورجل وامرأة في وطننا العربي

تأليف الباحث

محمد فيصل شيخاني

عضو الجمعية التاريخية السورية

الإهداء

إلى أبناء العروبة ، إلى أبناء بلدي ، إلى كل إنسان امتلك الفكر النير
والعاطفة الصادقة وسار على درب الحق والعدالة والذوق السليم، إلى أبناء
وأحفاد وطلاب وأصدقاء صاحب هذه الترجمة الذي حبب إلى قلوبهم الصدق
والإخلاص في العمل . وضرب لهم المثل الأعلى في البحث العلمي والتاريخي
والأدبي والإفادة منه وحب الآخرين ومساعدتهم . وغرس في نفوسهم كل معاني
الفضيلة والحب . أخي وحبيبي : الرجل العالم ، الباحث الناقد ، والزوج الصالح ،
والأب الرؤوف الرحيم ، والأخ المحب ، والصديق المخلص ، والمربي المعطاء ،
شيخ الكيميائيين كما يدعو أقرانه ، الأستاذ العلامة : طارق إسماعيل كاخيا .
أقدم هذا الكتاب الذي أتحدث فيه بما علمت وسمعت منه ومن أقرانه ومحبيه
خلال صحبتي له هذه السنين الطوال .

راجياً أن يصفح عما قصرت عنه ، آملاً أن تسيروا على نهجه وخطاه في
خدمة هذه الأمة ، وأن تكون قدوتكم قول رسول الله ρ كما هي قدوته حين يقول
: ρ

(من سلك طريقاً يبتغي به علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة
لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع .) ويقول ρ : (طلب العلم فريضة
على كل مسلم ومسلمة ، ومذاكرته تسبيح ، والسعي إليه جهاد ، وبذله لأهله
قربة ، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة) .
والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

الباحث

محمد فيصل شيخاني

تصدير

معظم الباحثين عن شخصية ما يقومون بالكتابة عن هذه الشخصية بعد وفاتها بزمن طويل . فتضيع المعالم وتنسى الذكريات وتفقد الأعمال . فيلجأ الباحث هنا وهناك ليجمع أخبار من يقوم بدراسة حياته . لذا رأيت بعد أن كتبت عن أستاذنا الكبير راغب الجمالي بعد وفاته ، أن أكتب عن شخصية فذة حية تسير بين ظهرانينا نستمد منها المعاني الفاضلة والعلم الغزير ، إنه الكيميائي العلامة : طارق إسماعيل كاخيا .

قصة طارق إسماعيل كاخيا قصة رجل عالم جليل ناجح ومبتكر وأ نموذج لكل شاب ورجل يتطلع إلى العلياء ولرفع شأن أمته ووطنه وبلده . صاحب الترجمة في هذا الكتاب ، إنسان يسحرك بحديثه ورقته وبساطته ويفاجئك بعلم راجح وتجربة ساحرة . صاحب هذه الترجمة يشبه سنبله قمح مليئة ، بمئات الحبات اليانعات من تجارب عديدة ، ولكل حبة منها خصوصياتها ونكهتها تتبارى مع تجاربه العديدة لتشكل سمفونية تموج بألحان يفوح منها عطر ندي ، يشكل قصصاً ممتعة وهذه القصص تنمو كقوس قزح يتدرج بألوان وأشكال تسحر أفئدة الكبار والصغار على السواء ، لأنها منسوجة بروح إنسانية لحمتها العلم وسداها الإيمان . هذه المنسوجة الحلوة شكلها عقل مرن مبدع وعاطفة إيمانية جياشة وخيال متسع الأرجاء .

قصة هذا الرجل قصة النضال المستمر والجهد الدؤوب والفكر النير والعاطفة الإنسانية الصادقة ، عاطفة رد الجميل لمن قدم له يد المساعدة ومن رباه وأحسن إليه ، وعاطفة حب الخير وتقديمه لمن يحتاج بشرط أن يرد الجميل كسلسلة متصلة الحلقات لتعم الإنسان . لقد حباه الله فكراً متزناً ، وعاطفة جياشة وغيره متشعبة ، وحماسة متقدة ، صعد ذلك إيمانه العميق بالله سبحانه وتعالى ، وبالقيم الطيبة التي ورثها عن والديه وتلقاها عن أساتذته وشيوخه ومعلميه .

لقد منى العالم العربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي وما يليه بسلسلة من الفتن الداخلية والحروب الخارجية بدءاً من الحروب الصليبية وغزو النتر إلى الحروب الاستعمارية الحديثة في القرنين العشرين والحادي والعشرين مما أدى إلى تضعف الكيان السياسي وتشرذم الأمة العربية إلى دويلات ، وأصاب المحيط العلمي أثر من هذا التضعف ، فتراجعت الأمة العربية عن دورها العلمي والسياسي ليس في قيادة البشرية جمعاء فقط بل حتى في المحيط الداخلي حتى أن عقولها المفكرة لم تجد مناً في موطنها وأصبحت غريبة في دارها ، وما كان عليها إلا أن تهجر إلى بلاد من استعبد أمتهم واحتل بلادهم إلا من رحم ربك . كصاحبنا الكبير السيد كاخيا ، الذي لم تغره مغريات الغرب بل كان يسافر إلى هناك ليعطيهم ويأخذ منهم المفيد والصالح فكان وجوده هنا وهناك فسحة من فسحات الرجاء تهب إلى قلوب اليائسين وعزيمة من عزمات الإيمان تتبعث في أوساط المتخاذلين وومضة نور تضيء الطريق للمدلجين .

إن صاحبنا الذي هزنتي دراسة آثاره وحياته هزاً عنيفاً ، لأنه شخصية فذة قد آتاه الله من العلم مع التواضع ما لم يأت غيره ، وأنا إذ أكتب عنه ليس غايتي تخليد ذكره وإن كان هذا يجب أن يكون . وإنما من أجل أن يسير أولاده وأحفاده وطلابه والجيل الصاعد ويحذوا حذوه .

وأستطيع أن أخص مظاهر عظمة شخصيته في هذه الأمور السبعة وذلك ما سوف تراه وتشاهده مفصلاً هنا وهناك في صفحات هذا الكتاب :

أولاً : جرأته العلمية . وإخلاصه لنصح الناس أجمعين .

ثانياً : شخصيته المؤثرة في سبيل العلم لطلابه وتحريضه لهم بسلوك طريق العلم الذي نحن بأمس الحاجة إليه لنهضة أمتنا والنصرة على أعدائنا .

ثالثاً : غوصه العظيم على أسرار العلم بكل ضروبه : (علوم الكيمياء والفيزياء والرياضيات والتاريخ والفلك والأدب والشرع) وإحاطته بمقاصد هذه العلوم ووصوله إلى لبها . فإذا بهذه العلوم تبدو له حبات في عقد منتظم منسجم .

رابعاً : إقدامه على الكثير من الأعمال التي يعجز عنها الآخرون . أو يحتاجون إليها. فكم من مرة تقدم للخطابة في مساجد عدة يوم الجمعة حيث لا يوجد خطيب ، أو تقدم لقيادة فئة من الناس حيث لا يوجد قائد , فهو مؤسس الجمعية الكيميائية السورية وغيرها وكان يقول مثلي كمثل خالد بن الوليد : يوم مؤتة عندما استشهد القادة الثلاثة الذين ولّاهم رسول الله ρ تقدم خالد ونصب نفسه قائداً وأنقذ الجيش من الهلاك .

خامساً : تربيته الصالحة لأولاده وطلابه ورعايته الصادقة لأسرته حيث يعتقد أن الفرد الصالح هو لبنة الأسرة الصالحة , وهذه اللبنة أساس في تكوين الأمة الصالحة القوية .

سادساً : تواضعه وكرمه وبشاشته وجهه ومحبته الخير للناس أجمعين ومساعدته لهم والأخذ بيدهم وكان يقول متمثلاً قول الرسول ρ :
(تبسّمك في وجه أخيك صدقة ، وإمّاطة الأذى عن الطريق صدقة) وقوله ρ :
الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) .

سابعاً : جهاده في سبيل وطنه فهو منذ نعومة أظفاره وحتى يومنا هذا يسخر علمه في سبيل قضية الوطن الأولى قضية فلسطين وتحريرها من المغتصب الصهيوني . ويقول متمثلاً حديث الرسول ρ : (يثاب بالسهم ثلاث نفر : الذي صنعه والذي نقله والذي رمى به) .

تلك في رأيي أهم مظاهر عظمة شخصية صاحبنا ولو أن كل واحدة منها كافية لأن تبوأه مكاناً علياً في قلوب كل من يلقاه , ويستأثر بحبهم والتفافهم حوله والتماسهم لعلمه , فكيف إذا اجتمعت كلها فيه .

سمعت باسم هذا الرجل من قبل سنوات طويلة ولكن كانت أول معرفتي به عندما حضر عام 1998 في محاضرة مشتركة بين الجمعيتين التاريخية والكيميائية بعنوان : **دور الكيمياء في الكشف عن الآثار وحفظها** , وفي نهاية المحاضرة أعلن اعتزاله عن رئاسة الجمعية الكيميائية السورية بعد أن مضى على إنشائها

خمسة وعشرين عاماً . وقدم في نهاية المحاضرة حفلة شاي احتفالاً كان له أثره الكبير في نفوس الحاضرين .

فظننت في حينه أنه مختص في علم الكيمياء فقط ، حيث يجيب على الأسئلة التي تخص مادته بكل طلاقة وثقة ، لم لا وهو مؤسس ورئيس الجمعية الكيميائية السورية منذ تأسيسها في عام 1973 . ولكنني وجدت فيه بما بعد صفة العلم الغزير في كل ضروب العلم مع التواضع الشديد والميل للدعابة .

فهو يُلمُّ بالمعلومات التاريخية ، ويتحدث عن الشخصيات التاريخية بالرغم أنه كيميائي ، وأهم من كل ذلك فهمه العميق للحادثة التاريخية وتقييمها والاستنتاج منها . وفيما بعد وجدتُ فيه الإنسان الضليع بكل المواضيع وأنه والله لمكتبة متنقلة تحوي جميع ضروب العلم . ذلك مما يسهل الأمور ويجعل للحياة طعماً ، ويفيد نفسه ويفيد منْ حوله ، ليس أفراد عائلته فقط بل كل المتعاملين معه ، وزاد إعجابي به عندما وجدته الرجل الصالح المؤمن الذي يحب تدعيم القيم الأخلاقية الفاضلة . و يجعل الآخرين يهتمون بالقيم . فهو المرشد والناصح والمدرس والمربي والخطيب ، ليس من نواح دينية فقط ، بل من نواح عديدة . فهو يحب لجلسائه التقدم وعدم الوقوف عند نقطة واحدة من نواحي عملهم وعلمهم وتفكيرهم ، ويريد لطلابه وقرنائه ولمن يتعامل معهم أن يشابهوه في علمه ونشاطه وسلوكه وأخلاقه . وزاد من إعجابي به سفراته الكثيرة وزياراته المتكررة للبلاد الأوروبية والعربية بسبب العمل أو العلم أو التجارة أو الاطلاع على المجهول دون أن تأثر هذه السفرات سلباً على ما يحمله من قيم وأخلاق .

وما أجمل وما أطف من أن تجلس معه ويحدثك عن كل بلد زارها قصصاً جرت معه يذكر فيها عبرة وتشوق لمعرفة المستقبل والمجهول .

ولعل أبرز ناحية لشخصيته هي ذكاؤه الوقاد وملكته الأصيلة في فهم العلوم وروحها ومقاصدها فهماً راسخاً شاملاً عقلياً دقيقاً و مبتكراً ، وكان يقول إن الله سبحانه وتعالى شبه الذين يحملون العلم ولم يطبقوه ويستفيدوا منه كمثل الحيوان

الأعجم الذي يحمل الكتب و هو تعب بحملها حيث يقول سبحانه وتعالى: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفراً) . ويظهر ذلك جلياً واضحاً لمن يطلع على كتبه ومؤلفاته الكثيرة في العلوم المتعددة حيث يدعو إلى تطبيق العلم والأخذ به لما ينفع الناس خاصة في كتابه : **مائة صناعة كيميائية مختارة** . وكتابه : **صناعة المواد الأولية اللازمة للصناعات الدوائية** . وكتابه **معالجة المياه للأغراض الصناعية والمنزلية** . بل حتى في كتابه : **الزواج الإسلامي** . وسلسلة كتبه في **الطب النبوي** . وهذه الناحية من شخصيته العلمية ذات شأن كبير تحتاج إلى دراسة خاصة وبحث مستقل كنت أود أن أتوسع فيها ولكن ذلك سيوسع البحث ويضيق المجال فيكفيني منها الإشارة والاختصار . ويمكن أن نقول عنه أن علمه أكثر من تصانيفه ومؤلفاته . ولئلا أترك جانباً من حياة الرجل غير مدروس وأقيم له صورة متكاملة متناسقة رجعت إلى جميع ما مكنتني فيه من المصادر التي أشار علي بها وإلى مذكراته ومخطوطاته وكتبه بل حتى إلى آل بيته وزوجته وأولاده و إخوته ثم إلى أصحابه وأقرانه وطلابه , وكلما أشكل علي أمر عدت إليه لأستفسر عن ذلك خوفاً من قرب منيتي أو منيته فلا أستطيع أن أكمل ولا أستطيع أن آخذ منه .

ولقيت عناء كبيراً في الوصول إلى بعض الجوانب ثم إيجاد التسلسل والترابط الزمني بين مجريات حياته وأخذ مني ذلك الجهد العظيم والوقت الكبير وبسبب سفراته وانشغاله كانت تضيع علي إجابات عن استفسارات كثيرة مهمة كما كان أحياناً لا يفصح لي عن بعض مكنونات نفسه ويقول : اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون .

وبعد حسبي أن أردّ في كتابي هذا للرجل بعض ما يستحق من التقدير والاحترام شاكراً لكل من ساعدني في إخراج هذا الكتاب عن علم من أعلام حمص ليبقى الناس على ذكره في حياته وبعد مماته . وأسأل الله أن يعينني على إخراج بقية كتبي عن أعلام حمص كي لا ينساهم الناس .

الموقع الجغرافي لمدينة حمص

قبل الدخول في تفاصيل الكتاب رأيت من المناسب أن أعطي القارئ لمحة عن مدينة حمص (مدينة خالد بن الوليد) التي ولد فيها صاحب هذه الترجمة وعاش فيها معظم حياته ، وجرت فيها معظم ذكرياته .

لقد اتخذت حمص موقعاً مميزاً بين محافظات القطر العربي السوري ، فهي تلامس محافظة دمشق وحدود العراق من الشرق ، وتتصل بالعاصمة دمشق وبالأردن من الجنوب ، وتصافح محافظة طرطوس ولبنان من الغرب ، وتقترب حدودها الإدارية كثيراً من البحر الأبيض المتوسط ، لتتسم هواءه ورطوبته ، وتمتد شمالاً لتتصل بمحافظتي حماه والرققة ، وهذا الموقع المميز سهل لها أن تكون منطقة اتصال وامتزاج بشري واضح ..

وتظهر لنا خارطة حمص الجيروفولوجية في الغرب جبلاً كثلية إنكسارية متوسطة الارتفاع من 500 م إلى أكثر من 1000م بقليل ، وهي مرتفعات وادي النضارة حيث تتوضع مناطق الاصطياف ، وأماكن زراعة الزيتون وأشجار التفاح ، تنتضد مدن مرمريتا وحبنمره ومشتى عازار والجويخات وعيون الوادي وغيرها . وتلي تلك المرتفعات جبال بركانية منخفضة تظهر فيها مناطق مهمة مثل تلكلخ والحواش وعمار الحصن . وتلك المناطق بمجموعها ذات معدلات أمطار تسمح للزراعات المتنوعة بالنمو فيها . وتتربع مدينة حمص على متسع هضبي بشكل سهل لطيف التموج ، وتلال تراكمية تتصل مع منطقة الوعر البازلتية ، وهي أرض خصبة مناسبة لزراعة الحبوب ومختلف أنواع الأشجار والنباتات المتنوعة وخاصة حول مجرى نهر العاصي وبحيرة قطينة . وفي هذه البقعة قامت المراكز والمدن التاريخية مثل حمص ، وتل النبي مند وأريتوزا (الرستن) وقطنة (المشرفة) وربة والقصير وتليبيه .

ويلي ذلك إلى الشرق منطقة جبال إلتوائية صندوقية أو سنانية أغلبها متوسطة الارتفاع متقطعة منبسطة الذرى ، تخترقها حوضات كبيرة على شكل سهول طمية ، أو أودية أو سهول فيضية ، وفي منطقة الحماد تسود الحوضات والمخاريط البركانية .

ونجد في تلك المنطقة فلزات بعض المعادن كالحديد كما نجد مركبات الجص والكبريت والفوسفات والرمل والغضار وتعتبر تلك من مناطق الرعي أيضاً ، إذ تظهر فيها الوديان السيلية ، وبعض العيون في الأرك والسخنة وفي تدمر (عين أفقا) ، كما تستخرج (الفوسفات) من مركزي الصوانة وخنيفيس ، وتظهر في الشرق والجنوب الشرقي مدن تدمر الأثرية والقريتين وصدد والمخرم .

ويهمنا من هذه اللوحة أنه لا توجد عوائق تضاريسية في حمص وما جاورها ولهذا كانت حمص عقدة مواصلات مهمة ، كما ساهم ثراء وتنوع الأراضي ووجود نهر العاصي وبحيرته واتصالها بالبادية في إعطاء حمص أهمية اقتصادية واجتماعية وثقافية وأثر ذلك في انتقال وتبادل التراث الحضاري . ولما كانت حمص من المراكز الثقافية المعدودة فكانت مقصد الكثيرين من أهالي فلسطين ولبنان وبعض أنحاء سورية والعراق يرسلون أبناءهم ليتلقوا العلم في مدارسها وخاصة الداخلية منها . لذلك أثرت حمص في حملة الفكر من أبنائها في توطيد فكرة الوحدة العربية ومناهضة الاستعمار .

دينة حمص في لمحة تاريخية

لا توجد بين أيدينا وثائق تعطي المدينة اسماً واحداً هو (حمص) بالعربية ، و (EMESA) باللاتينية والإغريقية ، ولكن أكثر الوثائق تؤكد أن وجود حمص يعاصر اقدم المدن التاريخية في بلاد الشام .

أما الثابت للدارس أن أصولها السكانية عربية : أمورية وكنعانية وآرامية ، وتجمع الوثائق أن الهجرات العربية إلى الشمال والشمال الغربي بدأت بالأموريين منذ الألف الثالثة قبل الميلاد الذين توضع قسم كبير منهم في الشمال الشرقي من سورية وليمتد لسان صغير منهم ليشكل دويلة (قطنة) المشرفة التي تقع شمال شرقي حمص . أما الكنعانيون فقد ثبتوا أقدامهم في المنطقة الغربية على الساحل السوري وتسرب كثيراً منهم إلى حمص .

وما بين 1200-1500 ق . م ظهرت بوادر الهجرة العربية الثالثة ، إذ أقبل الآراميون ، وقد أدى ضغطهم المستمر على الأموريين في وادي العاصي إلى امتصاص هؤلاء أو طردهم ، وفي مدة يسيرة اقتبسوا حضارتي الأموريين والكنعانيين ، غير أنهم احتفظوا بمظهر واحد من حضارتهم وهو اللغة الآرامية ، والتي تفرعت منها السريانية .

وكانت آخر الهجرات ، والتي كانت على نطاق واسع - هي الهجرة العربية تحت راية الإسلام - وانتشرت في كل بلاد الشام وأواسط آسيا والشمال الإفريقي " ويمكننا أن نستخلص ببسر وسهولة أن منطقة حمص هي الوحيدة في بلاد الشام المكونة من الأصول العربية الأربعة : من الأموريين والكنعانيين والآراميين والعرب المسلمين ، وذلك بحكم موقعها المتوسط ، ولعدم وجود عوائق تضاريسية تمنع الاتصال والامتزاج " .

وإذا كان الآراميون قد اقتبسوا حضارتي الأموريين والكنعانيين في الثقافة والأدب وخاصة الفلوكلوري منه ، فيبقى لدينا عندئذ : العربية والآرامية كمؤثرين في الثقافة ، وهما متمثلتان جنساً ولغةً وعواطفاً وقيماً .

وإذا كانت اللغة العربية هي الأشمل والأوسع فقد سارت وتأصلت وأثرت ، ولكنها تأثرت وبالتأكيد بالآرامية (السريانية) بألفاظ وقواعد وأسلوب .

ونحن لا ننكر أن شعوباً عدة جاءوا سورية غزاة ، وحكموها ومنها منطقة حمص ، ولكن تأثيرهم ولو طال انتهى برحيلهم ولم يتركوا إلا ذكرى وأطلال وتأثيرات غامضة في حياتنا .

لقد ظهرت في منطقة حمص مراكز وممالك مدن تاريخية مثل مملكة قطنة (المشرفة) الأمورية وقادش (تل النبي مند) ، حيث جرت قربها المعركة التاريخية الشهيرة بين رمسيس الثاني المصري وبين الحثيين عام 1296ق.م وانتهت بمعاهدة ومصاهرة بين الأسرتين .

وفي أواخر حكم المكدونيين وأوائل حكم الرومان في سورية ظهرت السلالة الملكية العربية (أسرة شمشيغرام) والتي امتد حكمها ما بين 69ق.م إلى 79م ، وكان لها سلطتان روحية وزمنية وكانت تضم حمص و (أريتوزا) الرستن ، و (سلاميا) سلمية ، وقد أثرت تلك الأسرة في الأحداث الدولية آنذاك إذ دعمت السلوقيين حكام سورية ضد بطالمة مصر . وقال المؤرخ الروماني كيكرون في مجال قوة هذه الأسرة : إن القيصر بومبي الروماني كان معاصراً للملك الحمصي شمشيغرام أمير حمص .

وعندما تزوجت الأميرة الحمصية (جوليا دومنا) عام 187م من القائد الروماني (سبتيموس سيفيروس) والذي أصبح إمبراطوراً على روما ، أثرت حمص بقيمتها وثقافتها وعاداتها في العاصمة الرومانية ، ولما تولى عرش الإمبراطورية باسيانيوس بن جوليا الحكم باسم كراكلا أعطى لحمص صبغة المدن الحرة ، وبقي لحمص أهميتها زمن الإمبراطورين ايلاكابال (رئيس كهنة حمص) واسكندر سيفيروس من أحفاد باسيانوس وقد بقيت حمص إحدى المدن التي تصك فيها النقود .

ولما أخذت مملكة تدمر بالتأثير في الأحداث الدولية 258م زمن ملكها أذينه الذي كان له حطوة لدى الرومان ، بقيت لحمص مكانتها وعظمت لدى تولى زنوبيا

عرش المملكة التدمرية والتي نافست روما ، وقد استعانت زنوبيا بحكيم حمص (لونجينوس) في إدارتها للإمبراطورية التي امتدت من أنقرة إلى أطراف مصر ، حتى أخذها الإمبراطور الروماني أورليان أسيرة عام 272م .

وفي عام 635م و15هـ انتصر العرب المسلمون بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد على الجيش البيزنطي بقيادة هرييس على أبواب حمص التي تحررت من البيزنطيين فيما بعد نهائياً . وقد جرت حوادث لا يزال أبناء حمص يرددونها في مجتمعاتهم ومجالسهم حتى دخلت في القصص الشعبية والأمثال . وأهما : إعجاب سكان حمص بعدالة العرب المسلمين حين ردوا الجزية لهم حين علموا بخطة (هرقل) لاسترداد المدينة وأعلن كثير من السكان أنهم سيقفون مع العرب المسلمين ضد البيزنطيين .

ومن الثابت أن شخصيات عربية اختارت حمص بعد الفتح سكناً ومستقراً ، وقد ارتبط اسم البلدة باسم الفاتح خالد بن الوليد ، وخاصة أن ولده عبد الرحمن بقي والياً على حمص لمدة تزيد على عشرين عاماً .

وقد اتجهت الأنظار لحمص أثناء الحروب الصليبية لأهميتها الاستراتيجية وحكمتها أسرة الأمير الأيوبي شيركوه لمدة تزيد على قرن من الزمان ، وجدران قلعة حمص وبعض الأبنية فيها تعود لهذه الفترة ، وعندما صارت تحت حكم المماليك اهتم بها السلطان المملوكي بيبرس وجدد بناء مسجد خالد بن الوليد ، ذلك بعد انتصاره على بقايا الغزاة الأوربيين والنتنر .

تلاشت أهمية المدينة زمن الأتراك وزال شأنها والاهتمام بها إلا عندما كان يتولى أمرها حكام محليون ، وفي العصر الحديث عادت لحمص أهميتها عندما أصبحت جزءاً من الجمهورية العربية السورية وتبوأ مكانتها اللائقة في عهد الاستقلال حيث تقدمت تقدماً ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً عاماً

المقدمة

إنني على ثقة من أن سير عظماء الناس تكون نموذجاً يحتذى للشباب ، ففي عام 1986 قدمت محاضرة بعنوان المربي راغب الجمالي شخصية تحتذى ، لاقت صدى مستحياً وثناءً عظماً ، ثم كتبت مقالات عن هذا المربي الكبير ، وقد اقترح علي الزملاء أن أكتب وأصدر كتاباً عنه .

عملت بهذه النصيحة وألّفت كتاباً مميزاً ، لهذا المربي الكريم ، نقدني البعض بحجة أنه مجرد معلم بسيط ، وبأن فيه مبالغات في المدح .

ولكن ابنة لي قالت : قل للناقدين أن كاتباً قد يخترع قصة ليعبر عن قيم قد تكون مبالغاً فيها ، وفي كتاب **راغب الجمالي** ذكرت القيم التي مثلها على واقع الحياة ، تضحية وفائدة وتربية للنشئ

وصديقنا الأستاذ طارق كاخيا الذي أترجم له في هذا الكتاب انتقل من المحلية الضيقة في مدينته حمص منذ صغره في مجالات الإبداع الكيماوي والميكانيكي والفيزيائي والكهربائي والإلكتروني ثم توسعت مجالات فائدته لتعم الكثير من البلدان العربية والأجنبية . وأضاف إلى ذلك إيجاده فرص عمل للكثيرين من أرباب العائلات بما أنجز من ابتكارات ومنشآت ، فقد جمع بين العلم والإيمان وحب الخير وعشق المعرفة وذلك بدأب واستمرار عجيبيين ، باذلاً الجهد والغالي والرخيص في سبيل مبادئه الوطنية والإنسانية ، وهو المواطن العربي الموسوعي في العلوم المختلفة وفي التاريخ والفقه والفلسفة والثبات على المواقف القومية وحب المعرفة والنموذج الذي يجب أن يحتذى كمثال مستقبلي لشباب العرب كافة ، ويسعدني أن أقدمه لأبناء العروبة ، وللشعوب النامية كمثال للمواطن العالمي في دنيا السلام والتفاهم والتقدم والازدهار ، وكنموذج للمتقف الواعي والإنسان الحقيقي .

هذا هو **طارق إسماعيل كاخيا** ابن بلدي ووطني معترفاً بعجزني أن ألم بكل ما يجوبه فكر هذا الرجل متمنياً له دوام الصحة والعافية وطول العمر .

لم أحاول أن أذكر كل ما يخص أبا زياد فهذا يحتاج لمجلدات ، بل المهم أن آتي على بعض أعماله البارزة أو المؤثرة ، وليس هدفي من ذلك كيل الثناء له بل تمثيله نبراساً حياً لأبنائنا ، ولكل من يهوى سير الكفاح والنضال والبناء للشخصية . لقد عرف طارق مكانته منذ الصغر فانطلق غير هباب ولا وجل في دنيا العراك والدراسة والفهم والإنشاء . وكان له نفس التقدير لدى والديه ثم لدى أنجاله وبناته وزوجته وأقرانه وطلابه ، من خلال هذه التعبيرات الجميلة لهم عن رجلهم الباني والعالم والصناعي والكاتب الجزيل الفائدة .

إن هذا الكتاب ليس إطراء لرجل نجح في تحقيق آماله العلمية فقط ، بل ومزجها بالناحية الروحية والاجتماعية لكل المحيطين به سواء في ديار الغربة أو في أي صقع .

القسم الأول

صاحبنا من الولادة حتى تخرجه من الجامعة

1938 . 1964 م

الفصل الأول

ولادته وأسرته

ولادته :

ولد صاحبنا في السابع عشر من حزيران لعام 1938 في شارع الذهبي بحي باب هود في مدينة حمص بسورية .
ويبدو أنه من ولادته كان أمره عجيباً إذ ولد داخل كيس لحمي فخرج على هيئة كتلة , والحاضرات من النساء أبدين استغرابهن من هذا الكيس وبداخله الطفل يتحرك , فما كان من الداية (القابلة) إلا أن أخرجت من جيبها سكيناً وشقت الكيس اللحمي وأخرجت الطفل وإذا به يصرخ . وكان أهل الحارة يتحدثون عن ذلك ويقولون أن صاحبنا ولد مكيساً .

والداه والبيت الذي عاش فيه ولهو الطفولة :

أما عن والديه والبيت الذي عاش فيه ولهو الطفولة فلقد كانت والدته شمسمة بنت رفاعي العثمان التركمانية الأصل ابنة خال والده الحاج إسماعيل بن خليل كاخيا التركماني الأصل أيضاً , ومعظم سكان حمص الأصليين من التركمان , حيث سكنوا فيها بعد حروبهم بقيادة صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين , ومع السلطانين : قطز وبيبرس ضد التتر حتى أن هناك حياً من أحياء حمص يدعى بحي التركمان , وأحد أبواب سور حمص القديم يدعى بباب التركمان . وكان والده إسماعيل رحمه الله ضخم الجثة طويل القامة , ولد عام 1900 م وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى عام 1916 شاهده الجنود الأتراك فحسبوه إنساناً قابلاً للعسكرية وهارباً منها وأن عمره يجاوز العشرين عاماً فأركبوه القطار وساقوه لمدينة حلب حيث تجمّع الرديف (الاحتياط) , فمن حسن أو سوء حظه لا ندري , لأنه

عندما أدخل المعسكر بحلب كان خاله نقيباً معاوناً للباشا القائد التركي هناك حيث كان يتقن العربية والتركية حديثاً وكتابةً ، وفي ذلك الوقت لا أحد يتقن ذلك فذهب إسماعيل إلى خاله وقال له أخذوني إلى العسكرية وظنوا أنني كبير السن ، وكان قد اعتقد أن خاله سينتقله من هذا المأزق ، ولكن خاله صفعه على خده وقال له : أنا فرح بالتحاقك بالعسكرية ، وسعيد أن أرى ابن أختي جندياً يحارب فيجب أن لا تهرب من الجهاد ، فأمضى أسبوعين تقريباً ورجع إلى خاله كي يتوسط له ليبقى بجانب الباشا ولكن خاله صفعه ثانية وقال له : " أنا لا أرضى لابن أختي أن يكون خوزمدجي (حاجب) للباشا ، أنت يجب أن تذهب للجهاد .

وفي ذلك الوقت أهدى للباشا حصاناً أبيضاً شرساً ولا أحد يستطيع أن يقترب منه ولا حتى الباشا نفسه ، فذهب والد صاحبنا إلى مربط الحصان وفكه من قيوده وركبه دون الجلال (السرج) كما يحدث في الأفلام ، وأخرجه من مربطه في الإسطنبول ، فأصبح الحصان يركض ويرفس محاولاً رميه من على ظهره إلى الأرض ، وهنا ثارت أيضاً جميع الأحصنة التي كانت تنتظم في الطابور الصباحي لثورة هذا الحصان . وسأل الباشا : " من هذا الذي ركب الحصان الأبيض دون السرج ؟ (وكان مكان الحدث الثكنة التي سميت فيما بعد بثكنة إبراهيم هنانو بحلب) وقفز الحصان من فوق سور الثكنة ، وكان خلف السور مقبرة وأصبح هذا الحصان يقفز من فوق قبر لفقير وإسماعيل يركبه متمسكاً بشعر رقبة الحصان إلى أن تعب الحصان ورجع هادئاً إلى داخل الثكنة ففوجئ الباشا وقال لوالد صاحبنا أن يبقى سايساً للحصان ، وأصبح لا أحد يستطيع أن يقترب من هذا الحصان غيره ، فعندما يأتي لهذا الحصان يذل له وكأن نفسه انكسرت أمام هذا الشاب الجريء .

وبعد ذلك بُعثوا رديفاً للجيش التركي الذي كان يحارب الإنكليز في القناة (قناة السويس) والذين كانوا يريدون دخول فلسطين ، وعندما وصل الرديف إلى بلدة بئر

السبع في فلسطين ، قالوا لهم بأن الجيش التركي انكسر وتراجع ، والجيش الإنكليزي يلاحقه وعليكم الفرار ، وكان الجندي في الجيش التركي يدع سلاحه وثيابه وكل شيء يدل عليه أنه جندي في الجيش التركي حتى لا يُعرف ويقتل من قبل الأعراب ، وكان الجنود المهزومون يسبرون الليل ، وينامون ويختبئون في النهار ومنهم إسماعيل حتى وصل إلى دمشق بعد أسبوعين أو ثلاثة يأكل من حشائش الأرض ، وعند وصوله علم أن خاله بعد أن غادر حلب أصبح قائداً لمنطقة دوما ، فجاأ إلى خاله الذي أبقاه في بيته سراً .

وفي ذلك الحين وقع الحب بين إسماعيل وبين ابنة خاله التي كانت تكبره بثماني سنوات وتزوجا وكانا سعيدين جداً في حياتهما تجمعهما الألفة والمحبة ، وعندما مات والد صاحبنا عام 1970 حزنت عليه كثيراً ذلك مما أثر على صحتها فأصبحت طريحة الفراش . وعاشت بعده حوالي 16 سنة حيث توفيت رحمها الله في عام 1986. فليس هناك أي قيمة للعمر عندما يكون التفاهم قائماً بين الزوجين فوالدته من مواليد 1892 وأنجبت 17 ولداً ، ولم يبق على قيد الحياة منهم سوى ابنتين وثلاثة بنين ، وكانت وفاتهم نتيجة للمرض ففي ذلك الوقت لم تتوفر العناية والخبرة الصحية لكل الأطفال الصغار ، الشقيق الكبير كان ضابطاً في الجيش العربي السوري تقاعد برتبة عميد وقد شارك في حرب عام 1967 ، وحرب عام 1973 ، والثاني كان مدرساً للغة العربية في ثانويات الجزائر والمملكة العربية السعودية وكان قبلها مديراً لإعدادية هاشم الأتاسي بحمص .

وعاش صاحبنا مرحلة الطفولة في حمص مدلاً من والديه وأخوته وأخواته فقد كان أصغرهم وأخرهم ، ولقد ربته أخته الكبيرة والمحسنة الفاضلة **طرفة** ، فكان كلما ألم به حادث أو جاع أو اشتكى جاء إليها باكياً فتأخذه في حضنها تدغغه وتلاطفه وتضحكه وكان يدعوها بأمه الثانية .

وربى والده أبناءه بشدة وقسوة ولكن علمهم عزة النفس وأن الحياة ليست لها أية قيمة إذا لم يضح الإنسان في سبيل وطنه وأمته وخدمة الناس ، وتعلم الصبر والشجاعة ، ذلك مما كان له أثره فيما بعد ، فعندما بنى صاحبنا مصنع شركة كيمياويات حمص خارج حمص نام بالبرية بالفروة والأمر عنده سيان وكأنه ينام بفندق خمس نجوم ، وأكل فتاتات الخبز أو الرز واللحم الأمر عنده سيان لا يتكبر على شيء رغم أنه كان آخر أبناء والديه وكان مدلاً جيداً من قبل والديه وأخوته وأخواته وعائلته جمعاء . ولد وعاش في منطقة شارع حمام الذهب بحي باب هود بحمص ، ودعي هذا الحمام بحمام الذهب لقصة يتواردها أهل الشارع بأنه كان هناك قبة ظاهرة في شارع حمام الذهب فيقولون أن هناك يوجد مقام أو قبر لرجل صالح أو ولي . وكان الناس تذيب عنده الذبائح وتقدم له النذور ويأتي لزيارته الأعراب والبدو وبعد الكشف عن هذا المقام تبين أنه حمام روماني قديم وفيه وجدت كمية من الذهب فسموه حمام الذهب ، وفي الوقت الحالي هدم الحمام وبنيت مكانه عمارة سكنية . وسمي الشارع فيما بعد باسم شارع الذهبي نسبة للإمام الذهبي رحمه الله .

وكانت والدته أمة كما كان والده ، ولكنها وهي ابنة ضابط كبير فيجب أن تتميز عن غيرها ، وفي ذلك الزمان لم يكن التميز بالعلم وإنما التمييز بما لدى الفتاة من خبرة ومعرفة بشؤون المنزل فتعلمت والدته الخياطة وكانت خياطة ماهرة وكان عامة الناس يقولون أنها إذا قصت بالمقص فإن مقصها من ذهب ، وكانت تصمم الألبسة وتختار المناسب منها للزبائن حسب ألوانهم وأعمارهم وأجسامهم ، وكانت تخطط الثياب للفقراء بدون مقابل ، ولهذا كانت تهتم كثيراً بالألبسة لأولادها ولما كان والده كبير تركمان منطقة حمص وبيتهم لا يخلو من الضيوف ولذلك يجب أن تكون والدته طبخة ماهرة . أما أخواله ووالدهم ضابط ولهم مستوى معيناً وكان معظمهم يحبون الانتساب إلى سلك الدرك .

وأحد أقربائه وهو " حسن العثمان " ابن أخ لجدّه من جهة أمه كان قائد الدرك في سرايا حمص أثناء العدوان الفرنسي عام 1945 حوَصر فيها مع رجاله من الدرك وأبو التسليم أسوة بزملائهم من الدرك في المجلس النيابي الذين قتلوا وقطعوا بالسكاكين ولم يستسلموا . وقال لهم الفرنسيون : السرايا هي بناء فاستسلموا فردوا عليهم إنها هي رمز كالعلم نقتل تحته وهو قطعة قماش وبقوا في وقتها ثلاثة أيام محاصرين وبدون طعام أو شراب حتى دخل الجيش الإنكليزي وفك الحصار .

الفصل الثاني

حكاية طارق الدراسية

أولاً : صاحبنا في المرحلة الابتدائية

وعى ذاته وهو في الابتدائية في الصف الأول عام 1944 م وقد تأثر بالدرجة الأولى بالمربين الكبار أمثال **راغب الجمالي** و **أديب ناصيف** و**محمد الجندي** وهو صيدلي متخرج من الأستانة ترك الصيدلة وأخذ بمهنة التعليم لأنه وجد أن تربية الجيل أفضل من بيع الأدوية . وكان راتب المعلم الابتدائي بسيطاً وكان هؤلاء الثلاثة أساتذة كبار بالمدرسة الوليدية . عند وجوده بالصف الأول كان على علم بماذا يدرس بالصف الثاني ، ويتساءل في نفسه ماذا يدرسون في صفوف أعلى لذلك عندما نجح إلى الصف الثاني ، وقد كان في ذلك الوقت لكل صف عدد من الأساتذة يترددون عليه ، ولكن بعد ذلك وضع لكل صف أستاذ خاص به ، وعندما كان يداوم في الصف الثاني دخل الأستاذ **راغب الجمالي** المسؤول عن الصف الثالث ومدير المدرسة الوليدية الأستاذ "**نور الدين القواص**" وهو أيضاً من المربين الكبار : ناديا الطالب صاحبنا فأتى إليهما وظن أنه قد اقتترف ذنباً فقالا له : " أنت رُفِعت إلى الصف الثالث " مباشرة دون دراسة الصف الثاني .

وبعد أن دخل إلى الصف الثالث ودرس فيه دون صعوبة لم يمض سوى شهر على ذلك حتى أنشئت مدرسة **الاتحاد الوطني** ، وكانت لا تبعد عن بيت الطالب صاحبنا سوى عشرة أمتار تقريباً فنقل إليها جميع الطلاب القريبين منها وكان الطالب صاحبنا من بينهم فتغير الوضع عليه من حيث الأساتذة والطلبة فرفض الذهاب إلى هذه المدرسة وهو في نفس الوقت لا يستطيع العودة لمدرسته الوليدية لذلك انتقل إلى المدرسة **المسعودية** الخاصة حيث درس أخويه فيها من قبل فأعاد ودرس الصف الثاني حسب عمره .

والتقى في هذه المدرسة بأربعة تلاميذ صار لكل منهم دور في الحياة ويتنافس كل منهم على المرتبة الأولى وكانوا يأخذون العلامة الكاملة في جميع المواد فيقوم الأساتذة بإجراء القرعة لترتيبهم الأول فالثاني . ولكنهم في الحقيقة كانوا في درجة واحدة منهم المهندس **رشيد الحلموشي** الذي درس الهندسة الإذاعية في ألمانيا

واستلم بعد تخرجه منصب مدير إذاعة حمص وهو علم من الأعلام في هذا المجال وذو عقل كبير ، والشخص الثاني هو **عبد الرحيم ريشة** الذي درس الهندسة المدنية فيما بعد في القاهرة وأصبح مديراً لمؤسسة المياه بحمص ، وبعد ذلك ذهب إلى السعودية . أما الطالب الثالث فهو **ثابت** عبارة الذي درس الطب بأمريكا ورجع إلى بلاده وبعد ذلك عاد إلى أمريكا . أما الطالب الرابع فهو الاقتصادي **عبد البصير الطويل** الذي تخرج من كلية التجارة في جامعة القاهرة واشتغل في الدائرة المالية لشركة سكر حمص ، ثم استقال ليعمل في تجارة المنسوجات . **فصاحبنا** ورفاقه الأربعة في المرحلة الابتدائية أحسوا بأنهم رجالاً بكل معنى الكلمة منذ نعومة أظفارهم .

وكان أستاذهم **عبد المغني بن الشيخ طاهر الرئيس** الذي ذهب عام 48 لفلسطين مع مجموعة من المجاهدين ولم يستغرقوا وقتاً حتى رجعوا وعندما عادوا كانوا يتحدثون للطلاب بأنهم لا يملكون أسلحة ، بينما اليهود يملكونها ، فقام الطالب صاحبنا وصديقه رشيد الحلموشي بصنع بندقية وهما في هذا العمر ، وقد علما أنّ البندقية تحتاج إلى فولاذ متين ففكروا ووجدوا أنه لا يوجد أمتن من إكس دركسيون السيارة ، لأنه أسطوانة مفرغة ومن فولاذ متين ، فعملوا بندقية من الإكس وكانا عندئذ طالبين بالصف الخامس .

وكان أستاذهم **نجاح الأتاسي** رحمه الله في الصف الخامس يدرّسهم كتاب عنوانه : (**الأشياء**) يدرسون فيه الكيمياء والفيزياء والعلوم و التشريح ، فهو يتحدث عن كل شيء ، أعجب الطالب صاحبنا بتجربة تحضير الهيدرجين من تفاعل حمض كلور الماء مع معدن التوتياء ، فجلب زجاجة حمض كلور الماء وقصاصات من التوتياء زوده بذلك زميله السيد **فؤاد دالاتي** الذي يعمل والده (سنكري) . كانت الزجاجة مليئة بالحمض فعندما وضع في داخلها قطع التوتياء وألبسها البالون الذي سينتفخ بالهيدرجين ، ولكن الذي حدث أن الحمض فار ومزّق

البالون الذي انفجر في وجهه ، نائراً الحمض على وجهه وعيونه التي أصابها الأذى ومنذ ذلك الوقت استعمل النظارات .

أصدقائه وأساتذته القدامى وأحلامه في المرحلة الابتدائية :

إن أصدقاءه وأساتذته في الابتدائي لم ينساهم ، وإن نسي بعض أصدقاءه وأساتذته في المرحلة الجامعية ، وكأن الإنسان ينسى يومه ويبقى متذكراً طفولته ولا يزال يذكر حتى أمكنة الجلوس في المقاعد ، ومن أصدقاءه القدامى الذين لا يزال يذكرهم ويحنّ إليهم كما ذكرنا سابقاً : **رشيد الحلموشي** و**عبد البصير الطويل** و**عبد الرحيم ريشة** و**ثابت عبارة** ، الذين أصبح لكل منهم دوره الكبير في الحياة بعد تخرجه من الجامعة كل في اختصاصه كما ذكرنا.

أما الأساتذة الذين قد غرسوا فيه القيم الأخلاقية وحب الوطن والقومية والدين . في المدرسة الوليدية الابتدائية كان هناك : **راغب الجمالي** و**أديب ناصيف** و**محمد الجندي** و**نور الدين القواص** الذين تحدثنا عنهم ، وفي المدرسة المسعودية الابتدائية كان هناك عالم حمص الشيخ الجليل الفاضل **طاهر الرئيس** الغني عن البيان ، وولديه الفاضلين الأستاذ **عبد الكريم الرئيس** والأستاذ **المجاهد عبد المغني الرئيس** ، والأستاذ **جهدي الأتاسي** ، ولا ننسى الأستاذ **نجاح الأتاسي** الذي كان أحد أبطال الرياضة والكمال الجسماني في حمص فلقد كان ذو شخصية جميلة . والأستاذ **عبد الفتاح حمادة** وكان موظفاً في المالية ويدرس مادة الرياضيات والحساب دون أجر على تدريسه ولقد كان بارعاً في الرياضيات وحل المسائل الحسابية المعقدة التي كانت تدرّس في تلك الفترة .

أما الأحلام التي كانت تراوده وهو على مقاعد الدراسة فلم يكن يحلم بشيء شخصي معين وكان الأستاذ **نجاح الأتاسي** يسأل طلاب الصف الرابع هذا السؤال فأجابه الطالب **صاحبنا** : ليس لدى أحلاماً معينة سوى حب العلم والرغبة به .

ولكن كانت لديه أحلامه الوطنية والقومية التي غرسها فيه أستاذه عبد المغني الرئيس الذي ذهب للجهاد في فلسطين فتأثر به تأثر كثيراً , كما تأثر بوالده وجدته اللذين كانا مع من قاوم الاحتلال الفرنسي عندما دخلت قواته من جهات تلك الخ وحدت هناك معركة وقتل فيها الكثير من آل الدندشي وغيرهم .

أي أنه منذ المرحلة الابتدائية كانت أحلامه بالعلم , وكانت أفضل أنواع الرياضة إليه كرة القدم والسلة والطائرة . وكان في أواخر الخمسينيات مديراً لنادي التضامن الذي خرج أبطالاً في المصارعة والملاكمة على مستوى دول البحر الأبيض المتوسط , كالمصارع **عبد الجواد قباني** , والملاكم **عبد الحكيم كعدة** وغيرهما وعندما تم دمج النوادي الرياضية ببعضها في السبعينيات كان نادي التضامن ضمن نادي الكرامة في وقتنا الحاضر .

ولابد أن نشير إلى أن المدرسة المسعودية الابتدائية كانت باعتقاده الأولى في سوريا نظاماً وعلماً وسلوكاً وتربية وطلابها مميزون والكثيرون منهم تبوعوا فيما بعد المراكز القيادية العليا , نذكر منهم الفريق **جمال الفيصل** الذي استلم قيادة الجيش الأول أيام الوحدة في مصر عام 1958م . وكان معظم رجال حمص من ضباط ووزراء ومهندسين وأطباء ورجال أعمال خريجين منها , وهنا يظهر تأثير المدرسة على الطالب .

ثانياً : صاحبنا في المرحلة الإعدادية :

أما المرحلة الإعدادية فلقد درس في التجهيز الثالثة وكان مديرها آن ذاك الأستاذ **محمد الدروي** الذي قد حُبب إليه دراسة التاريخ . أما محبته للغة العربية فكانت بتأثير الأستاذ **عطاء الله مغامس** مدرس اللغة العربية , ولا يزال يذكر من " الشعر القومي " للأستاذ مغامس قوله :

لا تأمنوا للأجنبي فإنه مهما تزهد في السيادة يطمع
متدراً بشعاره فرق تسد وبكل خائن قومه يتدرع

وكان معظم الشعر في ذلك الحين قومياً لما كان من أحداث في فلسطين إضافة إلى الانقلابات العسكرية في سوريا على أيام أديب الشيشكلي وسامي الحناوي . ولا ينسى الأستاذ سميح السباعي أستاذ الرياضة فليده الآن صورة لطلاب الصف الثامن في درس لكرة القدم ومعظمهم الآن ضباط ومحامون وأطباء .

وبالصف الثامن ، رجع لتجربة ثانية في الكيمياء عن تحضير المادة المتفجرة النيتروسيلولوز TNT حيث كان يأتيه الحماس للجهد والقتال في فلسطين ، متحمساً للقضية العادلة ، وكان وعي الذات من الناحية القومية والعلمية عنده قوياً ، وعندما قام بتجربة تحضير الـ TNT ويبدو أنه أخطأ بالتجربة ولم ينتبه لارتفاع درجة الحرارة ، فانفجرت المادة ملحقة الأذى به خاصة في عيونه حتى كاد يفقد بصره من جراء ذلك لولا رحمة من الله ، حيث أخذه أخوه شقيقه الأكبر الضابط في الجيش العربي السوري إلى طبيب روسي في مشفى المزة العسكري الذي قام بمداواته ولكن نظره ساء أكثر عما قبل .

وبالصف التاسع قام هو وزميله السيد هشام ظليمات وهو تاجر قماش الآن بجانب الحمام الصغير في سوق التجار فصنع كل منهما جهاز محطة إذاعة ولأن يحتفظ كل منهما به ، فكان الطالب صاحبنا وهو بحي باب هود وصديقه بحي المحطة يتحدثان مع بعضهما عن طريق هذين الجهازين الذين سمياهما محطة إذاعة حمص .

وفي عام 1953 وعندما انتهى من فحص شهادة الكفاءة (الإعدادية) وكان عمره لا يتجاوز الخمسة عشر عاما ذهب بعد انتهاء العام الدراسي مع ثلاثة من زملائه في الصف التاسع وهم عبد الوارث التريس الذي أصبح المدير المالي في شركة ريماء بحمص ، وسعد الله الأبرش في الدائرة المالية بمصفاة حمص ، وابن عمه أكرم الأبرش الطبيب فيما بعد ، ونصبوا خيمتهم في البرية عند بحيرة قطينة

بحمص وبقوا فيها لعدة أيام يسبحون ويمرحون ويصطادون السمك ، وهذا دليل على جرأتهم كيف لا وأعمارهم لم تتجاوز الخامسة عشر ، كيف لا ولا سواهم في ذلك المكان . والثلاثة توفوا رحمهم الله .

ثالثاً : صاحبنا في المرحلة الثانوية :

أما في المرحلة الثانوية فقد درس الصف العاشر في التجهيز الأولى (ثانوية عبد الحميد الزهراوي الآن) وكان مديرها الأستاذ عبد العليم صافي ، أما الصف الحادي عشر فقد درسه في فرع الرياضيات بالتجهيز الثانية (ثانوية خالد بن الوليد حالياً) التي كان مديرها آنذاك الأستاذ المرحوم يوسف شلب الشام ، والثاني عشر درسه في فرع الرياضيات أيضاً في المعهد العربي الإسلامي وكان مديره الأستاذ المرحوم عبد الحميد الطرابلسي . وكانت الدراسة في المرحلة الثانوية تقسم إلى فرعين : الفرع الأدبي وهو ينقسم إلى قسمين أيضاً (اجتماعيات أو لغات) ، والفرع العلمي وهو ينقسم إلى قسمين (طبيعيات أو رياضيات) ، وكان أصعب الأقسام العلمية هو قسم الرياضيات وكان معظم الطلبة ترهب دخوله ودراسته ، وكان عدد الطلبة في الصف الحادي عشر في التجهيز الثانية وهو الوحيد في حمص لا يتجاوز العشرين طالباً ، أما طلاب هذا الفرع في الصف الثاني عشر في المعهد العربي الإسلامي فقد كان عددهم أربعة طلاب فقط .

وفي المرحلة الثانوية اتجه إلى تعلم الكهرباء والإلكترونيات بوعي أكبر وفي عام 1956 أثناء العدوان الثلاثي على مصر (في حرب بور سعيد وكان هناك ضباطاً سوريين يتدربون في البحرية المصرية) حيث استقل الضابط جول جمال طوربيداً وضرب به الباخرة الفرنسية ليبرتي فأغرقها وفجرها بجسمه ، وقد قدرته الدولة كثيراً وأطلقت اسمه على مدارس عديدة . قال الطالب صاحبنا كاخيا : لماذا فجر جول جمال نفسه ألا يمكن صنع طوربيداً موجهاً باللاسلكي ؟ وهل أنا عاجز عن ذلك ، لذا صار في العطلة الصيفية يبيع الحبس (البطيخ) وغيره ليحصل

على نقود ليشتري بها المواد اللازمة لصنع القارب المسير بالراديو ولقد طلب إجراء تجربته ببخيرة حمص ، وكان عندها طالباً بالصف الثاني عشر (البكالوريا) ، وعندما أراد أن يقدم طلباً لتجربة القارب في بخيرة حمص نصحه أستاذه **رفعت الوفائي** أن لا يقدم هذا الطلب ، لأنه سيكون عرضة لمشاكل لها أول وليس لها آخر مع رجال **المكتب الثاني** آنذاك ، وإذا كان ولا بد فعليه أن لا يقول بأنه صنعه بل ليقل بأنه سيصنعه ، وفعلاً كأنما كان ما توقعه الأستاذ رفعت الوفائي صحيحاً فعندما استجوبوه قالوا له باستهزاء أنت أيها الطالب ستصنع مثل هذا القارب ؟ . " فمن وراءك " فقال لهم : إذا أردتم فإنني قادر على تصنيعه أمام أعينكم الآن إذا أمنتم لي ما أريد ، لا أريد إلا خدمة هذه الأمة التي أنا فرد منها قادر على أن أعمل أو أصنع شيئاً هي بحاجة إليه . فأصبحوا يستهزئون منه وأطلقوا سراحه على أنه مجنون أو يهذي .

وللوازع الديني والعلمي لديه مكانة قوية . وهو يعتقد أن الأمة لتكون محترمة مهابة الجانب يجب أن يكون للعلماء والصلحاء من الأمة مكانة محترمة وكلمة مسموعة عند الحاكم والمحكوم على السواء . وعليهم أن يؤدوا مهمة التوجيه والإرشاد والنصح بكل عزيمة وإخلاص والترفع عن المنافع .

عاش صاحبنا فترة الاستقلال من الحكم الفرنسي وما بعد الاستقلال وتأثر برجال الثورة والاستقلال وعلماء وأساتذة تلك الفترة ، وأفاد من كل هؤلاء فأثرت فيه شتى العبقريات وتكونت منه شخصية متميزة في استقلالها ، مبرزة في نبوغها ، قوية في توجيهها وتأثيرها على من حولها .

يمكننا أن نجزم بأنه نشأ متديناً في جو صالح تقي في البيت والمدرسة ولم لا وصاحب المدرسة وأستاذه الأول الذي رباه وتلقى عنه هو الشيخ المجاهد **طاهر الرئيس** شيخ شيوخ حمص ، والذي بقي صاحبنا ملازماً له حتى وفات الشيخ يأخذ منه العلم الشرعي ومحبة الناس وخدمتهم .

درس العلوم الدينية والعربية بمختلف فنونها من نحو وبلاغة وحديث وفقه شافعي على يد الشيخ طاهر الرئيس وابنه المربي الأستاذ عبد الكريم الرئيس ودرس الفقه الحنفي والحديث على يد الشيخ عبد العزيز عيون السود ودرس الفقه المالكي على يد الشيخ مؤيد شمسي باشا وحضر ودرس على يد شيوخ آخرين في حمص وقد تصدى للخطابة في صلاة الجمعة في مساجد بعض القرى بحمص وهو شاب يافع لم يبلغ السادسة عشر بتشجيع من الشيخ العلامة : أبو السعود عبد السلام والشيخ وصفي المسدي والشيخ نصوح السباعي حيث يثير الهمم في النفوس ويدعو للعودة إلى أصول الدين ومتابعة الحقيقة والابتعاد عن الجهل والبدع والدعة والكسل واعتماد العلم والبحث العلمي والدعوة إلى المحبة والوحدة (وأن تلك أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

لم يكن لديه طموح سوى خدمة أمته ولا تزال هذه الفكرة قائمة عنده فلو كان طبيباً أو مهندساً أو كيميائياً فالمهم في رأيه أن يثبت وجوده كعلماء العرب القدامى , فابن سينا ومؤلفاته (القانون في الطب) كان يقول : أن النوم ليس من حقه لأنه في صحوه يستطيع تقديم خدمة للناس , فنومه إذن هروب عن تقديم هذه الخدمة فلذلك اكتشف ابن سينا أدوية ضد النوم كي لا ينام فابن سينا وعظمته ومؤلفاته الكثيرة قد توفي في سن مبكرة وكأن عمره ينوف عن المائة عام , وما قدمه من علم ومؤلفات لم يكن غايته منها الحصول على مركز أو مال ، و إنما الغاية الحقيقية هي خدمة هذه الأمة , ولا تزال هذه الفكرة قائمة عند صاحبنا .

لا شك أنّ الإنسان يتأثر بالأحداث التي يمرّ بها ولكن يجب أن تكون له قاعدة في الحياة . فالعرب كانوا لا يعتبرون العالم عالماً إلا إذا علم بكل ضروب العلم فهل اللغة العربية صعبة كلا إذا وضع هذا الإنسان جهده في فهمها فالأستاذ صاحبنا كتب عدة كتب في علم الفقه والاجتماع والأدب والتاريخ والشعر . ولو

سلك مسلك الشعر لكان من الشعراء المهمين وكذلك بالنسبة للتاريخ والفقہ والأدب واللغة العربية .

يقول صاحبنا : بلادنا زراعية وخيرة ولكن بدون عمل وإنتاج يبقى هذا الخير في هذه الأرض دون استفادة منه , ورغبة منه في بعث الهمم فلقد قام بإنتاج العديد من الأسمدة والمواد والمبيدات الزراعية بما ملك من خبرة اكتسبها أثناء تدريسه تكنولوجيا الأسمدة لمدة ست سنوات في المعهد المتوسط للأسمدة في حمص والتابع لوزارة الصناعة في سورية وله مؤلف ضخم في هذا المجال .

رابعاً : صاحبنا في المرحلة الجامعية بمصر :

بعد أن أخذ صاحبنا البكالوريا ذهب إلى مصر لدراسة هندسة الكهرباء ولم يكن يريد دراسة الكيمياء ويتذكر بأنه قدم الطلب لمكتب التنسيق للجامعات المصرية وذهب للدوام مباشرة ولم يحصل على ما يريد . وقد تنقل في السنة الأولى ما بين الأزهر الشريف وألف كتابه : الزواج الإسلامي ، وكلية الهندسة الزراعية بجامعة عين شمس حيث ألف كتابه عن الأسمدة ، وكلية العلوم في جامعة عين شمس حيث ألف وترجم العديد من الكتب العلمية وصنع العديد من الأجهزة الكهربائية كما صنع العديد من المواد الكيميائية

وفي نهاية العام الأول في القاهرة أدى فريضة الحج وكان ينوي الالتحاق بثوار الجزائر ، ولكن الضباط الجزائريين الذين تعرف عليهم وكانوا يدرسون في الكلية الحربية بمصر اعتذروا منه وقالوا له نحن بحاجة إلى ضباط وأطباء ولسنا بحاجة إلى مجاهدين ومقاتلين فكل شعب الجزائر مجاهد مقاتل .

وقبل دخوله السنة الثانية تزوج وعاش مع زوجته في مصر وكانت أياماً حلوة وجميلة وكانت سنة عسل لا شهر عسل كما يقول . ونجد مصداقية ذلك في الرسائل المتبادلة بينه وبين شريكه حياته . إلا أنه لظروف الدراسة اضطر للعودة

لسورية فأكمل السنة الثالثة والرابعة في كلية العلوم بجامعة دمشق قسم العلوم الفيزيائية والكيميائية الذي تخرج منها في عام 1964 م .

زواجه المبكر :

كانت عائلته تحب كثرة الأولاد ذكوراً وإناثاً كعادة كل الأسر قديماً في حمص ، ويمكن لهذا السبب أن والده زوجه وعمره 23 عاماً من فتاة عمرها 19 عاماً ، ولكن بالرغم من صغر سنها كانت واعية جداً ويعتقد أن كل ما هو فيه من خير بفضلها " وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة " لذلك تنازل عن كل ما يملك فيما بعد لها ، ولقد مضى على زواجه منها ما يقارب النصف قرن إلا قليل وهما في أسعد حال ، وهي رفيقة دربه في الترحال والإقامة ، في السراء والضراء . وهو أب لستة أبناء ، 4ذكور و 2 إناث ، وأولاده الذكور يعملون معه حيث أنهم خريجو إما كلية التجارة أو كلية العلوم ، ما عدا الصغير منهم فهو لا يزال طالباً جامعياً يدرس هندسة الكمبيوتر في جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا في القاهرة .

في وقت اللهو والفراغ :

كان أكثر شيء يسعده هو القراءة ، فمنذ المرحلة الابتدائية كان يفكر أنه لو قرأ أو كتب أو ترجم صفحة واحدة في اليوم ففي السنة يتراكم لديه 365 صفحة وهذا ما يساوي كتاباً بكامله ولذلك حفظ الكثير من الكتب الأدبية والعلمية والأشعار وحفظ معظم سور القرآن وكتب الحديث . كما ترجم وألف ولخص العديد من الكتب في مواضيع شتى .

من ذكرياته الطريفة وبعض آرائه في مرحلة الدراسة :

عندما كان صغيراً ذهب ذات مرة شتاء إلى مستنقع غربي حمص وهو مكان مصفاة البترول حالياً ، وعندما وصل وجد جماعة من الصيادين يعرفهم كانوا يجلسون على أحجار ضمن المستنقع سألتهم : ماذا تفعلون هنا ؟ فأجابوه : عندما يأتي سرب البط ليلاً إلى المستنقع نقوم باصطياده وقت العشاء بإطلاق النار عليه من بنادق الصيد إلى الأماكن التي حددناها مسبقاً لاحتمال وجود البط فيها وفي الصباح نجمع هذه البطات التي اصطدناها . وعند جمع هذا البط من المستنقع لا نأخذ البطة التي يكون رأسها مغموراً في ماء المستنقع لاحتمال أن موتها كان بسبب الخنق . وبقي معهم وكان عمره 14 سنة لمدة ثلاثة أيام دون توبيخ من أهله بسبب ثقتهم برجولته وبحسن تصرفه ورغبة من والده أن يجعله رجلاً بكل ما في الكلمة من معنى .

وصاحبنا الآن يحب الأطفال كثيراً إذ يشعر فيهم البراءة ، بعد أن عرف عبر تجاربه الطويلة أنّ النفاق والكذب يتواجد في بعض من تجاوز سن الطفولة وكما يتبارك الجميع برجل ولي فإنه يتبارك هو بطفل إذ لا يزال هذا الطفل على فطرته الصادقة التي فطره الله سبحانه وتعالى عليها .

في هذه الدنيا يحب المناظر الطبيعية والبراري ويتمنى أن يسكن في برية ما . ولذلك تراه من خلال نوافذ مكتبه في مصنعه يشاهد الأشجار من جميع الجهات ، ويحب منظر الثلج عليها في الشتاء وهو يستمتع بحرارة الشوفاج أو المدفأة ، وكان قد زار معظم طواحين نهر العاصي وأخذ صوراً عنها ويعرفها واحدة واحدة من رأس الهرمل في لبنان حيث يجري نهر العاصي إلى طاحونة البنجكية ليصب في بحيرة حمص ومنها إلى طاحونة المزرعة ثم الخراب ثم الجديدة ثم الميماس ثم الحصوية ، ثم الرستن فحماء ثم الغاب .

مثله الأعلى :

أما مثله الأعلى والأول فهو الرسول ρ بأخلاقه وعاداته وسلوكه وجهاده ونضاله والذي لا يمكن الوصول إلى مرتبته كيف لا وهو القائل : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . . تبسّمك في وجه أخيك صدقة . . إمطة الأذى عن الطريق صدقة . . من غش ليس منا . . الخلق كلهم عيال الله , وأقربهم إلى الله أنفعهم لعياله .

فهذه من توجيهات الرسول العظيم فإذا أزال الإنسان الأذى من الطريق أثابه الله صدقة وثواباً , كما وأكد الرسول العظيم على ضرورة السلام ورد السلام بين المسلمين , والتضحية , والإيثار , والعمل , وعدم اليأس .

أما من واقعه فجميع الأساتذة الذين ذكرهم هم مثله الأعلى بالإضافة إلى الشيخ طاهر الرئيس والشيخ عبد العزيز عيون السود والشيخ أبو السعود عبد السلام من ناحية الفقه والدين . وما أجمل أن يجمع الإنسان صفاتهم الجميلة التي استمدوها من الرسول الكريم ρ الذي جمع مكارم الأخلاق واتسم بأعظم شخصية عالمية فاعتبر الأول بين مائة شخصية على مدى تاريخ البشرية جمعاء

حادثة طريفة :

وعن السباحة يذكر أنه كان يخاف السباحة وفي ذات مرة سار مع والده بجانب ساقية فرماه والده فيها بثيابه حتى يكسر عنده حاجز الخوف من المياه والسباحة وقال والده لمن كان معه لا يمكن أن يتعلم إلا بذلك وعندما غلب على أمره وكاد يغرق نزل والده ورفع من الساقية . وأصبحت السباحة بعد هذه الحادثة محببة إليه , وحببها إلى أولاده بأن بنى لهم مسبحاً ضخماً في المصنع يسبحون فيه .

العادات الاجتماعية :

العادات الاجتماعية يتأثر بها الإنسان إذ لكل شخص قيمه وأخلاقه النابعة من دينه وقوميته وعاداته ولهذا فهو عندما يلتقي مع أناس لهم عادات تختلف عن عاداته ، وتقاليده تختلف عن تقاليده ، وقيم تختلف عن قيمه ، لا يصطدم معهم بل يحترمهم ويناقشهم بالحسنى ، فلكل إنسان ومجتمع عاداته وقيمه الخاصة به ولذلك فإنّ أي إنسان من هذا المجتمع المختلف عندما يجد من صاحبنا هذا الاحترام ويجد تمسكه بعاداته يحب أن يتمثل بعادات وأخلاق وسلوك صاحبنا ، وقد يكون هذا سبباً في أنّ أي امرئ إذا تلاقى مع صاحبنا أحبه وتمنى أن يتعاون معه .

ويقول **صاحبنا** : أنه لو عاش ضمن مجتمع غير مجتمعه لاكتسب عادات هذا المجتمع الجديد وتمثل بها إن كانت صالحة جيدة إذ لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان فلو وجد صفة وعادة جميلة لا تتنافى قواعد الإسلام في مجتمع ما وغير موجودة في مجتمعنا فإنه يتمثل هذه العادة ويعمل بها أما العادات السيئة فإنه يبتعد عنها (فالحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها التقطها) .

رأيه في تحرر المرأة :

أما بالنسبة لتحرر المرأة فيقول : نحن نفهم هذا الموضوع بشكل خاطئ فالمرأة يجب أن تحترم ، والمرأة شقيقة الرجل وأخته في السلم والحرب ، ولا شك في ذلك ، وهذا ما نجده في أوروبا وأفريقيا ، ولقد فهمنا موضوع تحررها بشكل خاطئ ، فمثلاً أن تصبح مودياً نستغل جسدها وجمالها وفتنتها للإعلانات والدعايات وأمور أخرى فهل هذا تحرر وهل خلقت المرأة لهذا الأمر ؟ !

بل هي مربية الأجيال وهي الأم وهي الطبيبة والمهندسة والمعلمة والموظفة والمجاهدة ، وفي أوروبا هناك شطط ، ونحن نكرمها أكثر ، فالمرأة هناك تقود قطاراً أو سيارة وتساfer من بلد إلى آخر تاركة بيتها وزوجها وأولادها أو تعمل في مسلخ وتحمل الدابة المذبوحة على كتفها إلى البراد وهذا ما رأيته في العديد من الدول الأوروبية ، وهذا بلا شك إجحاف في حق المرأة ، ولكن في بلادنا العربية والإسلامية

استغلت المرأة كمصدر فتنة في الدعايات وغيرها فهل لهذا خلقت المرأة ؟ طبعاً كلا ! أما إذا كانت موظفة أو تقاثل إلى جانب الرجل أو تعمل إلى جانب زوجها في الحقل مثلا كأغلب النساء في قرانا فإن تقاليدنا وأخلاقنا لا تمنع في ذلك ، وديننا يكرم المرأة إلى أبعد درجات الإكرام .

تعامله مع والديه :

وصاحبنا يتمثل عادات وتقاليد وأخلاق والديه وهو معجب بها أشد الإعجاب ، ومتمسك بها أشد التمسك ، ومحب لهما بأعلى درجات الحب ، ولم لا وهما أيضا يحبانه ، وكانا يدعون له بالتوفيق ليلاً نهاراً .

ولذلك عندما شلت والدته في آخر عمرها لمدة 8 سنوات يتذكر أنه عندما يستيقظ صباحاً ليذهب إلى عمله يقوم بما يمليه الواجب تجاهها ويؤمن حاجاتها ونظافتها وطعام فطورها ويستقهم عما تريد قبل ذهابه . ونفس الأمر بعد أن يعود من عمله ظهراً ومساءً وفي كل وقت يطمئن عليها . وصدق عندما شلت أمه أصيبت زوجته بجلطة برئتها اليسرى وبقيت عدة أشهر مستلقية على ظهرها طريحة الفراش ، فكان يعيل بالاثنتين معاً .

وفي يومٍ من الأيام اضطر للسفر إلى اليمن وأوصى زوجته وأولاده بأمه واشترى لها كرسيّاً منتقلاً ليساعد أولاده بحملها وهو سيغيب 45 يوماً . وعندما عاد قالت له زوجته بأن أمه إما وليّه أو أنها تسرف في الدلال عليه ، فهي بعد سفره مباشرة استطاعت أن تمشي مستندة على الحائط لتذهب إلى الحمام لتقضي حاجتها بنفسها ، وعندما اتصلت لتخبرنا بعودتك عاد الشلل إليها .

وعند وصوله لحمص عائداً من اليمن قبّل يدها وعانقته وعانقها وقالت له : بأنّ الإبر (الحقن الطبية) التي حقنها إياها في ركبتيها ممتازة ، ولما لم تكن قد حقنت بأية إبرة فعلم أنها قد حلمت بهذا ، وعندما توفت رحمها الله رأى مناماً وقد أتى إليه رجل جليل وقال له " يا صاحبنا انتبه إلى نفسك كان الله يكرمك من أجل

أمك , ولقد ماتت التي كان الله يكرمك من أجلها " . ويذكر عندما كانت على قيد الحياة كان الخير ينصب عليه كثيراً ودون ترتيب أكثر بكثير من الرزق الذي أصبح يأتيه بعد وفاتها . ومن محبته لوالده ووالدته وحفاظا على ذكراهما سمي أحد أولاده باسم والده **إسماعيل** , وإحدى كريمتيه باسم والدته شمس إلا أنه دعاها **بشمس الهدى** .

دخوله سلك التدريس :

عندما عاد من مصر , وشعر أن عليه مسؤولية تأمين دخل لأسرته دون الاعتماد على والده , قام بتدريس مواد الكيمياء والفيزياء والرياضيات في العديد من إعداديات حمص الرسمية والخاصة وإعدادية هاشم الأتاسي الرسمية وإعدادية يوسف العظمة الخاصة لصاحبها الأستاذ عبد الحليم عباس , وإعدادية دار العلوم الخاصة لصاحبها الأستاذ أبو أحمد الأتاسي , وإعدادية عمر بن الخطاب الخاصة لصاحبها الأستاذ طيب الخجة وشركاه .

وقد كانت هذه التجربة له في سلك التدريس ناجحة جداً حيث حبيت إليه التدريس والعلم ومحبة طلابه , والذين أحبوه بدورهم , ولا يزال الكثيرون منهم يذكرونه بالخير والمحبة كلما قابلوه , وقد أصبح الكثيرون منهم أطباء ومهندسين كما تبوء العديد منهم المراكز العليا بعد تخرجهم من الجامعات .

القسم الثاني

صاحبنا بعد التخرج من الجامعة

بداية عمله ومؤلفاته وبعض آرائه

1964 . 2003 م

الفصل الأول

تدرج العمل والوظيفة وبعض آراءه

- عمل منذ عام 1964م وحتى عام 1970م في المديرية العامة للسكر والمنتجات الزراعية بسورية وتدرج بدء من كيميائي فيها إلى أن أصبح مديراً للإنتاج ونائباً للمدير العام وذلك في عام 1968م.

. وما بين 1970 . 1972م عمل مندوباً عن سورية في مركز التنمية الصناعية بجامعة الدول العربية ، وهو أحد مؤسسي الاتحاد العربي للسكر الذي كان مقره الخرطوم السودان .

- وما بين 1970 - 1973م قام بتركيب وتشغيل مصنع الزيت والصابون والسمن الصناعي للصناعي المشهور في لبنان السيد **ناظم الغندور** . كما قام بتقديم دراسة اقتصادية أولية للسيد الصناعي المشهور في اليمن **عبد الرحمن بن**

هائل سعيد أنعم لإقامة مصنع الزيت والسمن في اليمن أثناء لقائه معه في بيروت عام 1972م .

. أنشأ مصنعاً خاصاً به لإنتاج الأملاح الكيميائية في حمص / سورية منذ عام 1973م تحت اسم : دار الكيمياء . ولا يزال هذا المصنع يعمل حتى تاريخه .
. وفي عام 1978م أنشأ مع بعض التجار والصناعيين من حمص وحماه ودمشق شركة تحت اسم شركة كيمياويات حمص , واستلم هو إدارتها منذ تأسيسها وحتى تاريخه , وهذه الشركة تنتج العديد من المواد الكيميائية مثل :

- الصابون

. المنظفات الصناعية بأنواعها : سائل . مسحوق . معجون .

- الشامبو ومواد التجميل .

- السوائل الرغوية لإطفاء الحرائق , وحفر آبار المياه و آبار البترول .

- زيوت الغزل والنسيج والمواد المساعدة لها .

- إنتاج المواد الكيميائية المساعدة في صناعة السكر والدباغة والنسيج

والبترول والأسمدة .

- إنتاج المواد المعقمة والقاصرة .

- إنتاج الخلاصات النباتية الدوائية والعطرية .

ولا يزال هذا المصنع يعمل ويتوسع حتى تاريخه .

- قام بتدريس مادة الكيمياء الصناعية في كلية الهندسة الكيميائية والبترولية

في جامعة حمص منذ عام 1973م وحتى عام 1986م.

- قام مع مجموعة من الكيميائيين بإنشاء الجمعية الكيميائية السورية عام

1973م وانتخب رئيساً لها عدة دورات آخرها عام 1998م حيث طلب إعفائه من

منصبه ، وبقي عضواً فعالاً بها .

- بناء على طلب السيد / وزير الصناعة في سورية قام بالإشراف واستلام مصنع الخميرة بمدينة حمص عام 1976م ومصنعي سكر الرقة وسكر مسكنة عام 1980-1981م .

- عضو في غرفة تجارة وصناعة حمص منذ عام 1973م وحتى تاريخه ومسجل بالدرجة الأولى فيها .

- بالإضافة إلى الأعمال أعلاه ، له في مدينة حمص / سورية مكتب للاستيراد والتصدير من وإلى سوريا من أوروبا وروسيا وأمريكا وغيرها .

- عمل منذ عام 1987م وحتى عام 1991م كمستشار فني في وزارة الصناعة بعدن _ اليمن ، وقام بتقديم دراسة الجدوى الاقتصادية لمشروع الصابون والمنظفات . هذا المشروع الذي لم ينفذ بسبب قيام الوحدة بين شطري اليمن الجنوبي والشمالي .

- وعندما صدر قانون الاستثمار عام 1991م في اليمن قام بتقديم ثلاثة دراسات جدوى اقتصادية لثلاث مصانع في عدن :

الدراسة الأولى : مصنع لإنتاج النشاء من الذرة ، والجلوكوز الصناعي والجلوكوز الطبي وأغذية الأطفال من النشاء ، برأس مال قدره 37... مليون دولار لمستثمرة يمنية .

الدراسة الثانية : مصنع لإنتاج خشب البناء ، وخشب الأثاث ، و الخشب المضغوط ، والخشب المعاكس ، من جذوع الأشجار المستوردة من ماليزيا وغيرها برأس مال 6 مليون دولار لمستثمر يمني .

الدراسة الثالثة : مصنع لإنتاج الصابون بأنواعه : الطبي . الشعبي . الغسيل . التوليت . مسحوق الصابون بدأً من قطع الصابون الخام المستورد ، وهذا المشروع خاص به كمستثمر عربي في عدن .

- قام كذلك بترجمة و تأليف العديد من الكتب التكنولوجية باللغة العربية في شتى مجالات الصناعات الكيميائية والغذائية : السكر . الزيوت . الإسمنت . الصابون . الزجاج . الدباغة.....إلخ .

وقامت وزارة الصناعة ووزارة الثقافة في سورية في طباعة بعض هذه الكتب كما قام بطباعة بعضها على نفقته الخاصة

له العديد من المؤلفات و الدراسات الأدبية و التاريخية والاجتماعية والإسلامية ولعل أهمها كتاب الزواج الإسلامي الذي كتبه و طبعه منذ عام 1962 بمناسبة زواجه , وكتاب الأحكام الفقهية المستمدة من أربعين حديثاً نبوياً وكتاب الإصابة في من نزل بحمص من الصحابة

- له العديد من النشاطات و الاتصالات التجارية و العلمية و الاستشارية مع

العديد من الشركات الكيميائية الأوروبية الكبرى كشركة KEMIRA _ REXOLEN _ NOBEL وغيرها في السويد ، HENKEL في ألمانيا . STEPAN في فرنسا .

_ شريك في مصنع للصابون من زيت الزيتون في مدينة إدلب بسورية وهذا النوع من الصابون مرغوب جداً في سوريا ويفضل على أي صابون تواليت آخر محلي أو مستورد .

رغبته بإعادة كتابة تاريخ الحروب والغزوات والمعارك الإسلامية من جهة الفن والإستراتيجية العسكرية :

وهو يرغب بتأليف كتاب يشرح فيه المعارك التي خاضها المسلمون بعد رسول الله P, كمعارك الإمام علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم والقادة الفاتحون من بعدهم من جهة الفن والإستراتيجية العسكرية . ففي كثير من كتب السيرة السابقة التي كتبت عن الإمام علي كرم الله وجهه مثلاً تحدث فيها الكُتّاب عن علي كرم الله وجهه كزعيم وخليفة ولم يتحدثوا عن معاركه من جهة الفن العسكري والإستراتيجية العسكرية : كمعركة صفين مثلاً , فعندما جاء من العراق إلى بلاد الشام سار على ضفاف نهر الفرات وذلك

لتأمين المياه لجنوده , واختار جهة البادية وليس جهة الجزيرة ليمنع الماء عن جنود الشام .

وكذلك حروب ومعارك خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص , وعقبة بن نافع وطارق بن زياد , وغيرهم فهي تروى كقصص وسيرة , ولا تروى من ناحية الفن والاستراتيجية العسكرية .

ويروي صاحبنا مثلاً عن ذلك بأنه لما أراد المسلمون فتح أحد بلاد سمرقند واستعصت عليهم لأسوارها الضخمة المحصنة وكان قائد الجيش محمد قاسم الثقفي وعمره 18 سنة , حاصروها حصاراً شديداً على أمل أن تستسلم , واقترب فصل الشتاء , وفصل الشتاء هناك قارص البرد وشديد . وكان هناك أحد الخبراء في الكيمياء في الجيش معهم , أشار على قائده بقذف جميع الأخشاب التي جمعوها للتدفئة شتاء بالمنجنيق أمام الباب الرئيسي الكبير للسور وإحراقها , واستغرب عامة جند المسلمين هذا الأمر , وكذلك المدافعون عن المدينة من هذا التصرف , ولكن عندما هطلت الأمطار بعد فترة من الزمن تهدم السور لتحول الحجارة الكلسية إلى كلس عند حرقها .

الفصل الثاني

أضواء على بعض رحلاته وذكرياته

في السويد وزيمبابوي :

من البلدان التي زارها وأحبها السويد وزيمبابوي لأن عاداتهم وتقاليدهم تتأقلم مع شخصيته ونفسيته من جهتين . الجهة الأخلاقية (صدق الوعد وصدق المعاملة) وهو يروي هذه القصة الطريفة : تعرف على السيد لارس أف لارسن المدير الفني لشركة روكسولين السويدية التي كان يتعامل معها وهو من علماء الكيمياء المشهورين في السويد واستمرت العلاقة معه حتى بعد تقاعده وبلوغه سن

الستين حيث قام بفتح مكتب تجاري له ، وكان دائم التواصل معه ويستعين به عند إقامته في السويد من عام 1993 . 1996 ، وكانا إذا تواعدا للقاء عنده مثلاً عند ساعة معينة حضر السيد لارس في الموعد المحدد تماماً فهو يتمتع بدقة مواعيده ، وفي ذات مرة وعده بزيارته عند الساعة العاشرة من أحد الأيام فعندما دقت الساعة العاشرة ، لم يرن جرس الباب وإنما رنَّ جرس الهاتف ، وإذا بطبيب بمشفى يعتذر على لسان هذا العالم السويدي ويقول أن صديقك لارس أصيب بحادث سير وهو قادم إليك ، حيث كان الثلج والجليد يغطي الطرقات فانزلقت سيارته وأصيب بكسور في يديه ورجليه ، وهو الآن تحت العملية إذ أنه قبل دخوله إلى العملية طلب إلينا أن نعتذر عنه إليك .

ويقول عن السويديين : يتمتع هذا الشعب بصفة بساطة الحياة ففي شهر عيد الميلاد كانون الأول ، شهر المحبة والبركة عندهم ، الجميع يسلم على الجميع ، ويحيون بعضهم البعض ، ويتبادلون الهدايا والحلويات .

وكذلك يهتمون بنظافة بيوتهم وشوارعهم ومدنهم فلا يرمي أي شخص بقايا سيجارة أو ورقة في الطريق العام وإذا لم يجد حاوية أبقى هذه السيجارة في يده إلى أن يجد حاوية يرميها فيها .

ومثل هذا وجدته أيضا في زيمبابوي البلد الأفريقي والذي استقل عن الحكم الإنكليزي منذ زمن ليس ببعيد ، فالتقدم الذي حدث عندهم كبير جداً فذات مرة طلب من مدير مكتب الاستثمار هناك وكان ذلك في عام 1999 معلومات عن ميزان التجارة الخارجية ، أي ماذا يستوردون وماذا يصدرون خلال الخمس سنوات ماضية . ليعلم ما يتوفر عندهم وما ينفقهم من مواد ، قال له مدير مكتب الاستثمار : لماذا كلفت نفسك عناء السفر الطويل إلينا ، فقد كان بإمكانك أخذ هذه المعلومات مباشرة عن طريق الانترنت من بلدك ، فاستحي أن يقول له لا أنترنيت في بلدنا حتى الآن .

أما العاصمة الزيمبابوية فإنها تمنع وقوف أي سيارة في الطريق العام إلا لإنزال أو صعود راكب , و إنما توقف في مرآب المنزل أو بإمكانة خاصة لوقوف السيارات في مركز المدينة وهي عبارة عن بنايات من عدة طوابق فوق وتحت الأرض توقف السيارات بداخلها . ولا يختلف الشعب السويدي عن الزيمبابوي إلا بلون البشرة أما الأمانة والصدق والأخلاق فواحدة .

ففي زيمبابوي ركب صاحبنا سيارة تكسي وبعدما سارت لمسافة طويلة انتبه السائق أنه أخطأ الطريق المطلوب , وسار في اتجاه آخر أكثر من 15 كيلومتراً فاعتذر السائق منه وقال : بأن هذه المسافة غير محسوبة عليك ورجع إلى الطريق الصحيح .

حبه لمعرفة عادات وتقاليد الشعوب :

في أي بلد يزوره يحب معرفة عادات وتقاليد هذا البلد والرخيص والثمين فيه وهناك قصتان رواهما إحداهما من باريس حيث نزلها أول مرة وأقام فيها بفندق مريديان باريس , زار نهراً وعلى عدة أيام معظم متاحف وشوارع وحدائق وأحياء باريس وكذلك برج إيفل المشهور مستندلاً بخريطة المترو , ولكنه أحب أن يعرف ماذا بباريس ليلاً , المدينة التي لا تنام كالقاهرة , فخرج من الفندق إلى تكسي ليستأجرها طوال الليل بقيمة مضاعفة , وزار أحياء باريس الراقية انتهاء بالأحياء الفقيرة . والثانية من أديس أبابا , فعندما ذهب إلى أديس أبابا في الحبشة حدث نفس الشيء وتعرف على أحيائها وشوارعها ومطاعمها ومعالمها وكذلك فعل بالبلدان التي زارها وعاش بالواقع الذي تعيشه كل مدينة , وكان هذا موضع سرور له , ولم يكن يشمئز من واقع المدن والأحياء الفقيرة فيها سواء بأكلها أو مشربها أو أسلوب معيشتها وهذه صفة لا تتوفر في غيره .

وقد وجد تفاوتاً بين عادات وتقاليد كل البلاد التي زارها ولكن عند جميع الناس الطبيعيين فيهم فطرة خُلِقوا عليها وهي حب الخير للآخرين (فإذا قابلت إنسان بخير قابلك بخير وإذا قابلته بالشر والإساءة قابلك بها) وإن كان هذا الإنسان في أوروبا أو أمريكا أو أفريقيا أو آسيا , وإن اختلفت العادات والتقاليد .

ويروي لنا صاحبنا الفرق مثلا بين الكرم العربي والكرم السويدي فيقول :

العرب مشهورون بكرمهم الذي نعرفه للضيف ومحبتهم له وإدخال السرور على نفسه , أما في السويد فالأمر يختلف فإذا أراد أحد أصدقائك السويديين أن يكرمك دعاك للغداء أو العشاء في أحد المطاعم ولا يدعوك إلى بيته إلا إذا كنت من المقربين جداً . وعندما دعاه أحد أصدقائه المقربين جداً في السويد على العشاء في بيته وهذا غاية الكرم عندهم في السويد , وكانت معه زوجته ودخلا منزل الصديق السويدي وانتظرا كثيراً ولم يوضع الطعام , وعندما سأل صديقه السويدي : أين الطعام ؟ أجابه : صديقه أنه جاهز منذ أن قدمتما إلينا , ولكنكما لم تذهبا إلى المطبخ وتصبا الطعام , ونحن احتراما وتقديرا لكما لم نأكل بانتظار أن تقوموا , ظنا منا أنكما لستم بجائعين . فمن عادات السويديون أنه إذا دعا أحدهم صديقه على الطعام في بيته أصبح واحداً من أفراد المنزل فإذا جاع ذهب ووضع الطعام بنفسه .

المداعبة والابتسامه :

ففي سفراته صادف الكثير من الأمور ومنها الغريب أو المزعج وإذا صادف الأمر المزعج قلبه إلى وجه لا يحمل العيوس , مثل ذلك أنه اضطر مرة للسفر من باريس إلى دمشق فطلب من مكتب الحجز في فندق ميريديان بباريس أن يحجز له وتم له ذلك وأعطاه مكتب الحجز نسخة عن فاكس الحجز , وذهب إلى المطار في اليوم الموعد , ولم يكن تاريخ إيباه هذا محددًا على التذكرة , ووجد هناك أن اسمه

غير مدرج بين أسماء ركاب الطائرة التي ستقلع إلى دمشق وبعد أن أنهى جميع الركاب صعودهم على طائرتهم ، تذكر حمصنته وتقدم من المضيفة الأرضية هناك قائلاً لها على سبيل النكتة : إنني مضطر للسفر ولم يبق معي مالاً لأعود لباريس ، فإذا لم يتبقى أمكنة فأمامك حلان : إما أن تضعي لي كرسيّاً في وسط الطائرة لأجلس عليه ، أو أن تستضيفيني في بيتك ، فضحكت المسؤولة وسمحت له بالصعود إلى الطائرة بعد أن أجرت اتصالاً بقائد الطائرة ، وعندما صعد الطائرة وجد أن مكانه في الدرجة الأولى . أي أنه حوّل الموقف المزعج لصالحه ووصل لتحقيق هدفه .

أمثلة من السويد :

إن السويد أكبر دولة بنسبة الانتحار فيها وسبب ذلك طغيان الماديات على الإيمان والروحانيات وعدم وجود الهدف الذي يسعى الإنسان وراءه ، فكل شيء ميسر مهياً في هذا البلد . فالإنسان من رجل أو امرأة الذي لا يجد عملاً تقوم الدولة بتقديم راتب شهري له إلى أن يجد أو تجد له عملاً وكذلك الطالب إلى أن يتم دراسته الجامعية ، وعندما تشعر المرأة بأنها حامل ، تذهب للمشفى ويقومون بالاهتمام بها وبطفلها منذ فترة الحمل الأولى ، وعندما تضع يقدمون راتباً لهذا الولد تأخذه الأم لتغطية مصاريفه إلى أن يصبح في سن الثامنة عشر .

في تاريخنا :

وهذا ما نجده في تاريخنا ، فنحن نعلم أن عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . كان يتعسس يوماً خارج المدينة وإذا بولد يبكي فقال عمر لأم الغلام : يا أم الغلام أسكتي الغلام ، فلم يسكت الولد معها . وأعاد عمر وقال لها يا أم الغلام : أسكتي الغلام والله ما أظنك إلا أم سوء ، فقالت له : والله ما أنا بأمر سوء ولكن عمر هو رجل سوء ولم تكن تدري بأنها تخاطب عمر ، فسألها لماذا : فقالت له : لأنه لا يفرض إلا للفتيم ، وهذا ابني عمره ستة أشهر اضطرت لفظامه من

أجل التعويض له ، فقال يا ويح عمر كم قتل من أبناء المسلمين ، فذهب لصلاة الصبح وهو يبكي ، وقال مخاطباً الناس لا تعجلوا في فطام أبنائكم قد فرضنا لكل وليد في الإسلام .

من البلدان التي زارها :

لقد زار معظم دول أوروبا الغربية مثل إيطاليا واليونان وفرنسا والاندالمرك والسويد وألمانيا وهولندا ، أما أوروبا الشرقية فلقد زار منها هنغاريا وألمانيا الشرقية سابقاً . كما زار في الولايات المتحدة الأمريكية ولايات نيويورك وفيلادلفيا وكاليفورنيا . كما زار من أفريقيا : الغابون وساو تومي وزيمبابوي وموزمبيق وأثيوبيا . كما زار الدول العربية كلها من المحيط إلى الخليج .

زيارته لأضنه في جنوب تركيا :

زار مدينة أضنه في جنوب تركيا وهنا تذكر حادثة جميلة فلقد زار في عام 1972 م أضنه مع تجار لبنانيين يريدون إنشاء مصنع للمعجون المنظف في طرابلس الشام الذي مادته الأساسية حمض السلفون ، وفي أضنه يوجد مصنع ينتج 30 طن يومياً من هذه المادة ، وهذا المصنع لا يوجد فيه سوى عامل واحد في كل وردية مهمته رمي الكبريت إلى حلزون ناقل فيحترق الكبريت متحولاً إلى غاز ثاني أكسيد الكبريت SO_2 ثم يدخل إلى المصنع ليتحول إلى SO_3 ليسلفن فيه مركب الدودوسيل بنزين الذي يتحول بدوره إلى حمض السلفون والمصنع يسير آلياً بكامله . قال صاحبنا لصاحب المصنع أنه يريد شراء مادة حمض السلفون من عنده بعد أن علم أن لديه فائضاً يعادل نصف الإنتاج تقريباً والنصف الثاني يأخذه أخ صاحب المصنع لأنه يملك مصنعاً للمعجون المنظف . فطلب صاحبنا منه ترتيب زيارة لمصنع أخيه وأخذَ الموعد وإذا بالمصنع تخطت المواد التي يصنع منها المعجون بشكل آلي تماماً حتى تتجانس وتصبح معجوناً ، ولكنه فوجئ أن التعبئة تتم يدوياً من قبل حوالي سبعين فتاة ، حيث يوجد هناك صفيين متقابلين ، وعلى

كل صف حوالي 35 حنفية (صنوبراً) وعند كل صنوبر فتاة تعبئ المنتج يدوياً فقال صاحبنا مستغرباً : أن كل المصنع أتوماتيكي ولماذا عند التعبئة يصبح يدوياً فقال له صاحب المصنع : بأن هذا مقصود فلو كان المصنع بكامله آلياً لما استفادت البلدة من موضوع تشغيل اليد العاملة التي هي بحاجة إلى عمل وتلك الفتيات من أسر فقيرة بحاجة للعمل لاكتساب العيش .

وبالعودة إلى سفراته فعندما كان في السويد ودخل الفندق في ساعة متأخرة حيث كان مدعواً لطعام العشاء خارج الفندق سمع صوت غناء جميل باللغة السويدية لامرأة في مقهى الفندق . فدخل المقهى وجلس ليستمع لهذا الغناء على طاولة خلف البيانو الذي تعزف عليه هذه المرأة وتغني . وإذا برجل مهيب يدخل والجميع يقف له فحسبه مسؤولاً ما , وإذا به يضع يديه على البيانو أمام تلك المرأة ويغني معها وكان صوته جميلاً أيضاً فحسب صاحبنا أن هذه المرأة تمثل أم كلثوم عندهم وهذا الرجل يمثل عبد الوهاب لجمال صوتيهما وشعبيتهما الكبيرة وبعد ذلك حي صاحبنا هذا الرجل وشكره على غنائه الجميل وتعارف الاثنان معاً . وإذا بهذا الرجل هو مدير لأحد بنوك مدينة مالمو في السويد , وقدّم هذا الرجل مفاتيح منزله إلى صاحبنا في المدينة لينزل فيه (بعد أن علم أن صاحبنا أحد رجال الأعمال في سورية ويأتي السويد لشراء بعض المواد الكيميائية من بعض الشركات السويدية الكبرى) لأن هذا الرجل يسكن في الريف ونادراً ما ينزل في بيته في المدينة . ومن طريف الأمر أن الصلة استمرت بينهما فكانا يتبادلان البطاقات البريدية من حين إلى حين وكلما ذهب أحدهم على بلد ما .

وزار **صاحبنا** وزوجته السويد فيما بعد واتصلا به وقالاه : إن لنا ولداً سيئال الشهادة الثانوية العام القادم ونرغب في أن يدرس هنا في جامعة **لوند** المشهورة ونرجو أن ترعاه وأن تعتبره كولدك . فرتب لهما موعداً معه لزيارة جامعة **لوند**

ليدرس ابن صاحبنا فيها ويتخرج منها مهندساً كيميائياً كما كان والده يريد ، وعندما ذهبوا إلى الجامعة رأى في حدائقها الواسعة أشجار الكستناء المرة الضخمة وتحت كل شجرة ترى طالباً يجلس مع طالبة زميلة له . وبعد زيارتهم لرئيس الجامعة ، ومن ثم إلى كلية الهندسة الكيميائية وعميدها ومختبراتها ومكتبة الجامعة ، طلب منهما زيارة كنيسة الجامعة ، وهي عبارة عن بناء قديم ضخم بابه كبير وبوسطه باب آخر صغير خرجت منه راهبة وبيدها سلة تحمل فيها رداء خاص لترتيديه زوجة صاحبنا حين دخول الكنيسة ظناً منها أنها غير متحجبة ، ودخلا الكنيسة وقابلا الخوري المسؤول عنها وتحدثوا طويلاً . وبعد خروجهما من داخل الكنيسة قال لهما مضيفهما انظرا في الجامعة إما أن يجلس ولدكما مع زميلة له تحت الشجر ولا يهتم بدراسته ، أو أن يقضي وقته في المخابر أو المكتبة طلباً للعلم ، أو أن يقضي وقته في صلاة وعبادة ، ففي هذه الجامعة يتوفر كل ذلك من علم أو دين أو حب ، وللطالب أن يسلك أي طريق يشاء و يريد ، وآسف أن أقول لكم أنني لا أستطيع أن أرى ولدكم وأن أفرض عليه طريقاً ربما يريد هو طريقاً غيره .

الفصل الثالث

مقدمة عن أعماله الفكرية وتأثيره في تلاميذه

بدأ صاحبنا بالكتابة وهو في المرحلة الإعدادية وكانت له كلمات وقصائد وأشعار في مناسبات وطنية معينة ، ولقد تأثر بأستاذ التاريخ محمد دروي فكتب القصص التاريخية وقدمها لأستاذه ومنها موضوع عن عقبة بن نافع وفتح العرب المسلمين لشمال أفريقيا ولا يزال يحتفظ بهذا الموضوع ، وعندما كان في الثامن في التجهيز الثالثة تأثر بأستاذ اللغة العربية عطا الله مغامس ، وفي المرحلة الثانوية

كان أيضاً لأساتذة اللغة العربية أثرهم الكبير في محبته للغة العربية والكتابة والشعر أمثال الأساتذة : رفيق الفاخوري ومحي الدين الدرويش وعبد العليم صافي وكان يقدم لهم القصائد والأشعار التي يكتبها .

وقصة صاحبنا مع أي كتاب من كتبه كقصته مع كتبه كلها , العلمية منها وغير العلمية . فمنذ كان فتى يافعاً في الثانية عشر من عمره وما قبل (وهو الآن قد جاوز الخامسة والستين) حببت إليه القراءة والمطالعة والتلخيص والترجمة والكتابة . ومما قرأ وكان له أثر كبير في وجود مؤلفاته كلها :

آ - قول رسول الله ρ :

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية , وعلم ينتفع به , وولد صالح يدعو له .

ب - وكذلك قول عبد الله بن المقفع في مقدمة كتابه : الأدب الكبير حيث يقول : وجدنا الناس قبلنا لم يرضوا بما فازوا به من الفضل لأنفسهم حتى شاركونا معهم فيما أدركوا من علم الأولى والآخرة , فكتبوا الكتب الباقية , وضربوا الأمثال الشافية, وكفونا مؤونة التجارب والظن .

وبلغ من اهتمامهم بذلك , أن الرجل منهم يفتح له الباب من العلم , والكلمة من الصواب - وهو في البلد غير المأهول - فيكتبه على الصخور مبادرة منه للأجل , وكراهية أن يسقط ذلك على من بعده . فمنتهى علم عالمنا في هذا الزمان أن يأخذ من علمهم , وغاية إحسان محسننا أن يقتدي بسيرتهم , وأحسن ما يصيب من الحديث محدثنا أن ينظر في كتبهم فيكون كأنه إياهم يحاور , ومنهم يستمع .

لذا ففي مسيرة حياته كان كلما قرأ كتاباً علمياً بلغة أجنبية (الإنكليزية عادة) كان يقوم وهو يقرأه بالترجمة المباشرة له إلى اللغة العربية , ولا يكاد ينتهي من قراءته إلا ويكون قد انتهى من ترجمته أيضاً , وقد تكون هذه الترجمة في حينها غير دقيقة , وغير مترابطة الجمل وال فقرات , وغير صحيحة لغوياً أحياناً . حيث أن لغته الإنكليزية قام بنقوبتها بواسطة مجهوده الشخصي ودون الاعتماد على أستاذ ,

فكان عندما يرى كلمة ولا يعرف معناها وترجمتها يبحث عنها في القواميس المختصة ليعرف معناها ويسجل ويكتب هذه الكلمة في سجل خاص إضافة إلى حفظه لها في ذاكرته حتى وصل إلى مرحلة ترجم فيها العديد من الكتب العلمية وخاصة في علم الكيمياء , إضافة إلى أن صار عنده أكثر من ثلاثة عشر قاموساً ومعجماً مختصاً .

وكان كلما وجد أثناء قراءته وترجمته للكتاب فكرة علمية ممكنة التطبيق , أو تحتاج إلى بحث وتمحيص وإجراء تجارب لتصنيعها وإنتاجها , قام بهذا البحث والتمحيص والتجارب مهما كلفه ذلك من وقت وجهد ومال . كما كان يدون جانباً المصطلحات العلمية التي كانت تمرّ معه أثناء قراءته للكتاب ويضيف إليها كلمات فهرس Contents ودليل Index الكتاب وينسقها في قواميس عدة حسب مواضيعها . وبذلك تجمع لديه خلال مسيرة عمره وحياته العديد من الكتب العلمية والأدبية والإسلامية التراثية , والعديد من الأبحاث والمحاضرات العلمية والتاريخية , والقواميس في شتى ضروب العلم .

ولما بلغ من الكبر عتياً وخاف على هذه المخطوطات من الضياع (وقد ضاع بعضها فعلاً) قام بتكليف من له خبرة وسرعة بالطباعة على الكمبيوتر (بعد أن منّ الله علينا بهذا الاختراع العظيم) بطباعة هذه المخطوطات , وهو يقوم الآن بمراجعة ما كتب , وتصحيحه علمياً ولغوياً وموضوعياً , وربما حذف أو أضاف بعض الفقرات , أو زاد بعض المواضيع ليتناسب الكتاب مع تاريخ مراجعته ولما أراد له أن يكون , والعلوم كما هو معلوم في تطور دائم مستمر .

نسأل الله أن يمد في عمره ليستطيع تصحيح كامل مخطوطاته , كما نرجو أن يتحمس أولوا الأمر لطباعتها وتوزيعها لتعم الفائدة منها .

مؤلفاته و ترجماته :

ألف صاحبنا فأكثر من التأليف وأتقن و أجاد فقد ألف بالعلوم و الفقه و الحديث و التاريخ و قد جمعت قصارى جهدي في جمع أسماء كل ما ألف أو اختصر أو ترجم الذي أسميته الأعمال الكاملة لصاحبنا والذي ذكرته لاحقاً .
أسلوبه في الكتابة :

بمناسبة ذكر مؤلفاته لا بد لنا أن نذكر أسلوبه في الكتابة الذي يمتاز بالبعد عن التعقيد ، بل يملؤها بالطرافة والإشراق والحكمة والفائدة ، فهو واضح الأسلوب بليغ الكلام مشرق البين وهو يعتقد الاعتقاد الجازم على أن الله سيثيب العبد إذا أخلص النية في عمله وكتابته وأن الله لا يضيع أجر المحسنين وأن الإنسان سيجزى بعمله خيراً بخير وسوء بسوء (إنما تجزون ما كنتم تعملون) . ومن ناضل في سبيل أمته وإظهار دين الحق و العلم النافع كان جديراً بأن يحرسه الله بعينه التي لا تنام ويعزّه بعزّه الذي لا يضام ويحوطه ببركته التي لا ترام ويحفظه من جميع الآثام ، و كان لطبيعته الدينية و سلوكه الصوفي الحق أثر كبير في حياته و في أسلوبه من حيث لطافته ورفقته وعذوبيته . ومن تتبع كتابته و محاضراته رأى أنه رزق عقلاً كبيراً وذهناً ثاقباً ينفذ إلى بواطن الأمور و حقائق الأشياء و يخاطب العقول قبل القلوب و لا يقف على المظاهر ولا يضيع في شتات الألوان ، حرّ الفكر واقعي النظرة منطقي التعليل والتقسيم .

تأثيره في تلاميذه :

كثّر عدد تلاميذ صاحبنا الذين تخرجوا على يديه ، ولو استعرضنا سيرة أو نواحي بعضهم لشاهدنا مدى تأثيره في تلاميذه . فلقد درّس الكيمياء والرياضيات والفيزياء منذ عام 1959 أي قبل تخرجه من الجامعة في العديد من إعداديات حمص الرسمية و الخاصة كما ذكرنا سابقاً . كما درّس الكيمياء بفروعها منذ عام 1974 و حتى عام 2003 م في المعهد المتوسط للصناعات الكيمائية وفي المعهد العالي للهندسة الكيمائية و البترولية والذي أصبح فيما بعد كلية الهندسة الكيمائية

و البترولية التابعة لجامعة البعث . ومن ثم الإشراف على بعض مشاريع التخرج لطلاب السنة الخامسة الذين أصبح أكثرهم دكاترة وأساتذة في الكلية نفسها أو استلموا إدارات بعض الشركات الصناعية (كالسكر والسماذ والبترول) وكانوا فيها من الناجحين و المتفوقين . فنجد أنه أوجد مدرسة تقوم على إخلاص في العلم ونزاهة في العمل و محبة الآخرين .

كان صاحبنا قد رزق بشاشة الوجه و نعومة الأسارير مما تحبب إليه النفس , وكان مع علمه وفضله متواضعاً مع الناس , متواضعاً مع الله متواضعاً في مظهره بعيداً عن التكلف . حتى لم يكن يتقيد بلباس فأحياناً يلبس القنباذ وأحياناً يلبس الجلابية والدشداشة , وأحياناً البنطال بدون جاكيت , أو الطقم (بنطال وجاكيت) بكرافاته (ربطة عنق) أو بدونها وكان دافعه في هذا تقواه وبساطته الطبيعية , يعيش متواضعاً في غير ضعف ومرتفعاً في غير كبرياء بساطة في العيش وعدم التكلف في المظاهر مع عزة النفس . وكان مع ذلك مهيباً جليلاً مألوف الوقار . تفرض شخصيته احترامها على مخاطبها وتدعو إلى الخضوع له في إعجاب به وإكبار له . وهو لم يكن رجل درهم ودينار ومال وغنى وكان زاهداً مكتفياً بالقليل . فهو سخي اليد كثير الأصدقاء يحب أن يعطي الفقير ويغني ذي الحاجة ويكافئ من خدمه . قد يخيل للمرء بعد كل ما ذكرنا عن صاحبنا أنه لم يعرف من جوانب الحياة النفسية إلا الجد والصرامة والجفاف , ولم يرزق شيئاً من لطيف الذوق وخفيف الظل , لم يكن صاحبنا كذلك بل رزق من الرقة النفسية والذوق العالي ما جعله يتذوق الشعر الرقيق وجيد النثر ويأتي به بعض الأحيان . وكان يحفظ الشعر الجيد ويستشهد به ويطرب له , وكثيراً ما حاول هو أن يقرض الشعر إذا صفا له طبعه وتهيأ مجلسه .

تحليل شخصيته ونفسه :

يظهر لنا بتحليل أوصاف نفسيته وشخصيته أنه :

- 1 . قوي النفس والعزيمة بحيث يستهين بكل شيء كالمناصب والجاه في سبيل الحق وكانت هذه القوة تدفعه في كثير من الأحيان إلى الإيثار والبذل والتضحية .
 - 2 . كثير النشاط لا يفتأ يعمل ويعمل ويعمل .
 - 3 . يحب المجتمع الذي يعيش فيه ويحب صالحه ونفعه . ويوجّه مواهبه وجل نشاطه إلى خدمة ذلك المجتمع على الأسس الأخلاقية والدينية والعلمية التي أنقن درسها وفهمها فأحبها وأخلص لها .
- الفقه عنده كله يرجع على أربعة أمور :**

- 1 . اعتبار المصالح و درأ المفسد . و هذه قاعدة قائمة على حديث رسول الله ρ (لا ضرر و لا ضرار) فالشريعة كلها إما أن تدرأ المفسد أو تجلب المصالح وأجمع آية في القرآن الحق على المصالح كلها والزجر عن المفسد بأسرها قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل و الإحسان وإيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي يعظكم لعلكم تذكرون) .
- 2 . حديث رسول الله ρ : الحلال بيّن , والحرام بيّن .
- 3 . حديث رسول الله ρ : إنما الأعمال بالنيات , وإنما لكل امرئ ما نوى .
- 4 . حديث رسول الله ρ : الدين يسر وما شادّ الدين أحد إلاّ غلبه .

دليل الأعمال الكاملة لمؤلفاته ومحاضراته وأبحاثه ودراساته :

أولا - المؤلفات العلمية

- 1 . المرجع في علم الكيمياء ويتضمن الأجزاء التسعة التالية :
- 1 . الكيمياء الفيزيائية .
- 2 . الكيمياء التحليلية الوصفية .
- 3 . الكيمياء التحليلية الحجمية .
- 4 . الكيمياء اللاعضوية (مترجم) .
- 5 . الكيمياء العضوية (مترجم) .
- 6 . الكيمياء الصناعية اللاعضوية .
- 7 . الكيمياء الصناعية العضوية .
- 8 . علم الفلزّات .
- 9 . تحضير المركبات العضوية والكشف عنها .
- 2 . المرجع في المتفجرات . ثلاث أجزاء . (مترجم) .

3. المرجع في مواد التجميل . ثلاث أجزاء . (مترجم) .
4. المرجع في العطور . ثلاث أجزاء . (مترجم) .
5. معالجة المياه للأغراض الصناعية وغيرها . (مترجم) .
6. الصابون والشامبو والمنظفات الصناعية . (مطبوعات وزارة الثقافة) .
7. الصابون والمنظفات من الألف إلى الياء . (تاريخيا . كيميائيا . بيئيا) .
8. المرجع في تصنيع المواد الأولية الصيدلانية . (مترجم) .
9. المرجع في تكنولوجيا الأسمدة . (مترجم) .
10. المرجع في الأصبغة العضوية . (مترجم) .
11. العمليات الكيميائية الصناعية . (مترجم) .
12. المرجع في النشاء والجلوكوز .
13. التحليل الفني للنشاء ومشتقاتها .
14. المرجع في الزيوت والدهون .
15. التحليل الفني الزيوت والدهون .
16. مدخل إلى تكنولوجيا الزيوت الجفوفة . (مترجم) .
17. المرجع في الفلزات والمستحاثات والصخور . (مترجم) .
18. تلبيس وطلاي المعادن كهربائياً . (دار جفرا بدمشق) .
19. مائة مهنة كيميائية صناعية بسيطة .
20. صناعة خميرة الخبز . (لجنة إنجاز مصانع الخميرة في سورية) .
21. عشرة آلاف تركيبة كيميائية , للمنزل والمكتب والمصنع (مترجم) .
22. مشروع بالتحاليل المعتمدة في مخابر شركات السكر .

ثانيا - القواميس الكيميائية والعلمية

1. معجم المواد الأولية الداخلة في صناعة :
العطور . مواد التجميل . الصابون . المنظفات .
2. مسودة قاموس المصطلحات الكيميائية .

- 3 . مسودة قاموس السكر .
- 4 . مسودة قاموس التعدين والفلزات .
- 5 . مسودة قاموس المصطلحات الفنية في : علم تعدين وإنتاج الحديد وال فولاذ
- 6 . مسودة قاموس المصطلحات الفنية في علم الأحياء والتشريح .
- 7 . مسودة قاموس المصطلحات الفيزيائية :
- 8 . مسودة قاموس المصطلحات الفنية في صناعة الأسمدة .
- 9 . مسودة قاموس المصطلحات الفنية في تحاليل الأغذية .
- 10 . مسودة قاموس المصطلحات الفنية في المذيبات .
- 11 . مسودة قاموس المصطلحات الفلكية .
- 12 . مسودة قاموس المصطلحات الفنية في علم الرياضيات .
- 13 . مسودة قاموس المهن والحرف .

ثالثا - المؤلفات الإسلامية والتاريخية

- 1 . مختصر كتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزية . (دار الغزالي بدمشق) .
- 2 . مختصر كتاب الطب النبوي للإمام ابن الذهبي . (دار الغزالي بدمشق) .
- 3 . الزواج الإسلامي . (دار الغزالي بدمشق) .
- 4 . الأحكام الفقهية المستنبطة من أربعين حديثاً نبوياً .
- 5 . الإصابة فيمن نزل بحمص من الصحابة .
- 6 . معالم وأعلام من حمص الشام . بالاشتراك مع الأستاذ فيصل شيخخاني .
- 7 . على جناح الذكرى : ملامح قيام وتأسيس الاتحاد العربي للسكر .

رابعا - المحاضرات

- 1 . تكرير زيت الزيتون السوري ومقترحات لتحسين نوعيته .
(الإسكندرية . مركز التنمية الصناعية لجامعة الدول العربية) .
- 2 . استعمال سيليكات الصوديوم في تكرير الزيوت والدهون .
(الإسكندرية . مركز التنمية الصناعية لجامعة الدول العربية) .

3. خواطر كيميائية . (المركز الثقافي بحمص) .
4. استخدام إنزيم ألفا . أميلاز لتحسين نوعية الخبز .
(ندوة الصناعات الغذائية . جامعة البعث بحمص) .
- 5 . الاستفادة من قمامة المدن والمخلفات البلاستيكية كمصدر للطاقة الحرارية والكهربائية . (الجمعية الكيميائية اليمنية , عدن) .
- 6 . شيلات الحديد والعناصر السامدية الصغرى التي تحتاج إليها النباتات بكميات ضئيلة . (الجمعية الكيميائية اليمنية , عدن) .
- 7 . بكتريا الليكونوستوك وأثرها في خفض مردود السكر .
(الجمعية الكيميائية السورية بحمص) .
- 8 . استعمال إنزيم الديكستران لتحسين مردود السكر .
(الخرطوم , الاتحاد العربي للسكر)
- 9 . الصناعات الغذائية في سورية وآفاق التعاون والتنمية العربية .
(ندوة الأمن الغذائي العربي , الشارقة)
- 10 . الكيمياء عند العرب . (المركز الثقافي بحمص) .
- 11 . دور الكيمياء في الكشف عن الآثار وحفظها . (جمعية العاديات بحلب)
- 12 . تكنولوجيا النشاء ومشتقاتها .
(كلية الهندسة الكيميائية والبتروولية بجامعة البعث بحمص) .
- 13 . ماذا تعرفين عن الصابون والشامبو والمنظفات الصناعية .
(الاتحاد النسائي بحمص)
- 14 . المنظفات المنزلية وآفاق تطورها . (وزارة الصناعة بعدن) .
- 15 . الصناعات القائمة على الزيوت والدهون .
(شتورة , نقابة الكيميائيين بלבنا)
- 16 . الأسس الحديثة لاختيار الدهون والزيوت لصناعة الصابون .
(غرفة صناعة حلب) .

17 . الغازات السامة والمواد الحارقة والمتفجرة .

(الجمعية الكيميائية السورية بحمص) .

18 . جولة في مصانع سكر العالم العربي .

(نادي عمال وموظفي شركة السكر بحمص) .

خامسا - الأبحاث

1 . مجموعة من الصناعات الممكن تنفيذها في البلاد العربية .

2 . حب العزيز كمصدر للسكرورز . والنشاء . والزيت .

3 . سوائل الحفر الرغوية لأبار المياه والبتروول .

4 . استخدام الإنزيمات لتحسين جودة السكر الخام ومردوده .

5 . استعمال الـ E.D.T.A كمادة مانعة ومزيلة للرواسب الكلسية في صناعة السكر .

6 . أسماء ومصطلحات كيميائية عربية قديمة .

7 . مواد إطفاء الحريق , أنواعها . استعمالاتها .

8 . مركبات البولي أكسيد الإيتلين للالكيل أميد .

9 . الصناعات القائمة على المولاس .

10 . زيوت الغزل والنسيج .

11 . المنظف السائل , تنوعه وتطور استعماله .

12 . أسئلة وأجوبة حول مواد التنظيف .

13 . ماذا تعرف عن الشامبو وأنواعه .

14 . الفوائد الطبية للماء المؤين النشط .

15 . الثروات الفلزية الاقتصادية في سورية .

16 . السكرورز كمادة أولية لصناعة مواد الفعالية السطحية والمنظفات .

17 . صناعة السكر في سورية والوطن العربي :

دراسة تاريخية اجتماعية اقتصادية علمية .

سادسا - دراسات الجدوى الاقتصادية

- 1 . مذكرة مختصرة بالمكونات الأساسية لدراسة :
الجدوى الاقتصادية للمشاريع الاستثمارية .
- 2 . دراسة الجدوى الاقتصادية لإقامة مصنع للمنظفات بأنواعها
بطاقة 1000 طن / عام لشركة الرضى بطرابلس . لبنان .
- 3 . دراسة الجدوى الاقتصادية لإقامة منشأة لصناعة الصابون والمنظفات
في جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية . عدن .
- 4 . دراسة الجدوى الاقتصادية لإقامة منشأة لصناعة الأخشاب بأنواعها
في جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية . عدن .
- 5 . دراسة الجدوى الاقتصادية لإقامة منشأة لصناعة الصابون بأنواعه
في جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية . عدن .
- 6 . دراسة الجدوى الاقتصادية لإقامة منشأة لصناعة النشاء والجلوكوز ومشتقاتهما
في جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية . عدن .
- 7 . دراسة الجدوى الاقتصادية لإقامة منشأة لصناعة تري بولي فوسفات الصوديوم
في الجمهورية العربية السورية . غرفة صناعة حلب .

سابعا - بعض مشاريع التخرج لطلاب

كلية الهندسة الكيميائية والبترولية :

- 1 . صناعة خميرة الخبز من مولاس الشمندر السكري 1985 م .
- 2 . دراسة وحدة تصنيع الكحولات الدهنية العالية ومشتقاتها 1985 م .
- 3 . دراسة وحدة لسلفنة الكحولات الدسمة 1986 م .
- 4 . دراسة وحدة إنتاج البوتانول والأسيتون من تخمر المولاس 1986 م .
- 5 . دراسة وحدة لإنتاج سيليكات الصوديوم 1986 م .

6. فصل البرافينات من قطفات نفطية متوسطة باستخدام حمض الكبريت 1987م .
- 7 . تصميم مصنع لإنتاج زيت بذرة القطن 1987 م .
- 8 . دراسة وحدة لإنتاج المسحوق المنظف 1988 م .
9. أسترة الأغوال (الكحولات) العالية 1999م .
- 10 . دراسة عملية لإنتاج النشاء والجلوكوز (مصنع حمص نموذجاً) 2001 م .

الفصل الخامس

آراء المفكرين والأقارب في صاحبنا وبعض الرسائل المتبادلة معه

رسالة من صاحبنا إلى مدير مركز الحرف العربي للطباعة والنشر

في السويد السيد أمير رمضان

عناية الأخ أمير رمضان المحترم :

تحية عاطرة ، وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

شكراً لمعايذتكم الكريمة لنا بعيد الأضحى المبارك ، وإنها للفتة كريمة منكم ،

فبارك الله بكم ، وكل عام وأنتم بألف خير .

وسررنا لقيامكم بخدمة الحرف العربي . ولنشاطكم في هذا المجال ، وفي بلد الغربة هذه . وان ذلك ليتطلب منكم جهوداً كبيرة ، وصبراً وجلداً عظيمين . فبارك الله بكم ، ووفقكم في مسعاكم لما فيه خدمة العروبة ولغتها في هذا البلد المضيف **السويد** . الذي نعتبره البلد الثاني لنا ، والذي أمن الناس فيه الخوف والجوع والمستقبل ، وناموا فيه ملء أعينهم .

عزيزي الأخ أمير حفظك الله ورعاك :

عملت في مجال حياتي في بلدي سورية وغيرها _ وأنا الآن على أبواب الثامنة والخمسين من عمري _ كمدرس بدأً من المرحلة الابتدائية إلى الإعدادية والثانوية والجامعة ، مروراً بالمدارس الشعبية الليلية .

إضافة إلى عملي في مجال الصناعة بدأً من عامل إلى كيميائي إلى مدير للإنتاج إلى خبير صناعي في مركز التنمية الصناعية التابع لجامعة الدول العربية ولدى بعض وزارات الصناعة في بعض الدول العربية .

كما ساهمت بنشاط العديد من الهيئات والجمعيات العلمية العربية والأجنبية في الأردن واليمن والعراق ومصر والخليج وسوريا وفرنسا وألمانيا والسويد وغيرها من البلاد العربية والأوروبية . إضافة إلى كوني رئيساً للجمعية الكيميائية السورية ومؤسسها منذ عام 1973م وحتى تاريخه .

هذه المقدمة التي لا بد منها لأبين لك أنه خلال تاريخ عمري هذا شعرت بحاجة أمّتنا العربية ، ومكتبنا العربية إلى كتب بلغتها ، لغة الضاد . وعلى شتى المستويات والثقافات . لذلك قمت بتأليف أو ترجمة أو تحقيق العديد من الكتب أغلبها كتب تكنولوجية في : صناعة السكر _ الزيوت _ والدهون _ الصابون والمنظفات _ الأسمدة - الزجاج _ النشاء والجلوكوز _ الإسمنت _ البترول والبترو كيمائيات _ تلوث البيئة _ العطور ومكسبات الطعم ...إلخ .

بعض هذه الكتب قامت بعض دور النشر والوزارات في سورية بطباعتها ، وأرغب الآن بتجديد طباعتها ، وبعضها الآخر لا يزال مخطوطاً ، وبعضها أستغل وقت فراغي هنا أحياناً فأقوم بتتضيدها بالكمبيوتر من نوع (ماكنتوش) ، ولكن لا وقت لدي ولا سرعة عندي بالطباعة على الكمبيوتر لكامل هذه الكتب .

أخي الكريم أمير حفظك الله وركاك :

رغم أن صلاتي بالسويد قديمة وتعود إلى أكثر من عشرين عاماً حيث كنت آتي إلى السويد مرتين أو أكثر كل عام لأعمال تجارية مع الشركات السويدية الكبرى كشركة : نوبل ، وكيميرا ، وركسولين وغيرها واستأجرت هنا في مدينة هلسنغبرغ بيتاً منذ عشرة أعوام ، إلا أنه ومنذ ثلاث سنوات خلت قررت الاستقرار في السويد وجئت بزوجتي وبولدي الأصغر الذي هو الآن في الصف الحادي عشر بإحدى المدارس الثانوية في مدينة هلسنغبرغ .

وأعطيت إقامة عمل أجدها كل عام وأنشأت شركة كيميائية متواضعة لأعيش منها ، إضافة لرغبتني القيام بتكملة بعض الأبحاث وتطبيقها هنا مع بعض الشركات السويدية والتي لا يمكن القيام بها في بلادنا للأسف ، وإضافة لبحث إمكانية طباعة بعض كتبي هذه أوكلها إن أمكن .

أخي الفاضل السيد أمير حفظك الله :

لا تتوفر لدى الإمكانيات المادية لطباعة كتبي هذه حالياً هذا من جهة . وإن توفرت فليس لدي الوقت والخبرة لتوزيعها من جهة ثانية .

لذا جئت إليكم عسى أن أجد عندكم حلاً لذلك . وسؤالي الآن لكم هو التالي :

هل يقوم مركزكم بتولي عمليات الطباعة والنشر بكاملها وبالتعويض للمؤلف عن حقوق تأليفه بأسلوب ما . أم أن المركز يقوم بتولي عمليات الطباعة والنشر فقط ، وعلى المؤلف أن يقوم بدفع كامل التكاليف أو بعضها وبأسلوب يتفق عليه

لحفظ حقوق الطرفين . وهل هناك بعض الجهات الرسمية هنا في السويد تقوم بالمساعدة المادية وغيرها لمثل هذه الأمور .

وعلى كل الحالات أرجو منكم بيان التالي حول كلفة كتاب سيكون مثلاً بحدود 200 صفحة من حجم 17,5 × 25 سم وبالأسود والأبيض فقط .

1 . تكلفة إعداد النسخة الأم من نسخة مخطوطة ، أي التكلفة بطباعتها وإخراجها بالكمبيوتر .

2 . تكلفة طباعة 1000-2000 نسخة منه

3 . تكلفة إعداد تصميم الغلاف ، ومن ثم طباعته من أربعة ألوان .

4 . تكلفة تجليد الكتاب .

كما أرجو بيان كذلك ما يلي:

ما هي خطة المركز في حالة تبني الكتاب بالكامل ، من حيث الطباعة والنشر والتوزيع ، وما هي المساعدات التي يقدمها المركز في هذه الحالة للمؤلف .

و أخيراً " آسف بإطالتي عليكم وإكثاري بالأسئلة ، بانتظار جوابكم تفضلوا من أخ لكم يهيمه نشر الكلمة العربية والحرف العربي والعلم العربي كما يهيمكم أنتم أفضل تحية وأعطر سلام .

أخوكم : طارق إسماعيل كاخيا . مدير شركة كاخيا للكيماويات

من تقديم الأستاذ الفاضل ، محمد حلاوة رئيس نادي الصداقة العربي السويدي

في مدينة هلسنبرغ / السويد لكتاب قبسات من الطب النبوي :

أرسل إلي الأخ الفاضل السيد طارق إسماعيل كاخيا نسخة من كتابه : **الجزء**

الأول من سلسلة قبسات من الطب النبوي . وهو اختصار وتهذيب لكتاب الطب

النبوي للإمام شمس الدين بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية . وطلب مني

كتابة تقديم للكتاب . وعندما قرأت الكتاب وسررت بما جاء فيه ، قلت في نفسي

أأكتب مقدمة عن ابن القيم مؤلف الكتاب ، أم مقدمة عن الكتاب نفسه ، أم مقدمة

عن نادي الصداقة العربي السعودي ، أم مقدمة عن السيد كاخيا مختصر الكتاب ،
أم عن ذلك كله ؟ .. وهذا ما أحببت وأردت .

فمؤلف الكتاب الإمام ابن قيم الجوزية غني عن التعريف ، فهو من أئمة بلاد
الشام في المائة السابعة للهجرة . صاحب المؤلفات العديدة الضخمة التي تطرق
فيها إلى كل علم . ولعل من أشهر كتبه ومؤلفاته : " كتاب زاد المعاد في هدي
خير العباد " . هذا الكتاب الذي تناوله العديد من المحققين والباحثين بالنتقيب
والتحقيق وتم طبعه عدة مرات . وما كتاب الطب النبوي إلا جزءاً وقسماً من كتاب
زاد المعاد ، وإن كان البعض قد قام بطباعته بعد تحقيقه في كتاب منفصل .

وإمامنا ابن القيم . رحمه الله . كبقية علمائنا الأفاضل على شتى الدهور
والعصور كان نبزاً للعلم في شتى ضروبه وفنونه وأنواعه ، لم يبتغ من وراء علمه
سوى وجه الله سبحانه وتعالى كونه كان سليم العقيدة نقي الفؤاد ، صافي السريرة ،
دعا بالعودة إلى أصل الدين وتنزيهه عن كل ما يشويه من بدع وأهواء

أما موضوع الكتاب في الطب النبوي فهذا دليل على أن علماءنا وفقهائنا
الأوائل لم يكونوا بعيدين عن واقع الحياة وعمما يجري حولهم ، فترى الواحد منهم
يكتب بالفقه إلى جانب التأريخ والفلك والطب واللغة ، لأنهم فهموا أن الإسلام هو
دين الحياة ، هو دين الدنيا والآخرة .

وصحيح أن رسول الله ﷺ جاء هادياً ومعلماً وبشيراً ونذيراً ، ولكنه جاء أيضاً
طبيباً للأرواح والأجساد والقلوب ومنقذاً للبشرية من كافة أمراضها المعنوية والروحية
والمادية . والطب النبوي يمتاز بأنه طب وقائي قبل أن يكون طباً دوائياً أمر
بالنظافة ظاهرها وباطنها في البدن والثوب والمسكن والجسم إلى جانب نظافة ونقاوة
القلب والوجدان والضمير .

وما أركان الإسلام الخمسة بدءاً من الشهادتين إلى الصلاة والزكاة والحج
والصوم إلا شفاء لما في الصدور ، ونقاء للقلوب ، وسمو للأرواح ، ونظافة وقوة
للأجساد والأبدان ، وهذا أسمى آيات الطب النفسي والروحي .

وعندما كتب ابن القيم كتابه عن الطب النبوي فسر أحاديث رسول الله ﷺ بما يناسب العلوم الطبية في المائة السابعة للهجرة . إلا أن بعضاً من هذه المفاهيم الطبية قد تطور وتغير الآن فكان لا بد من إعادة النظر بمضمون الكتاب فقام السيد كاخيا بهذا العمل مشكوراً وهو من المشهود لهم بالبحث والتأليف في علوم شتى شأن علماء المسلمين الأوائل .

أما مختصر الكتاب السيد كاخيا فهو رفيقنا في هذه المدينة . هلسنبرغ . من مدن السويد . والتي أردنا أن نثبت وجودنا فيها كعرب وكمسلمين . فقمنا بإنشاء نادي الصداقة العربي السويدي ليجمع العرب هنا على شتى مذاهبهم وآرائهم ، نسائهم ورجالهم ، شبابهم وأطفالهم . وليكون صلة الوصل فيما بينهم أولاً ، وبين السويديين والمجتمع السويدي ثانياً . ولنادي الصداقة العربي السويدي سمعة حسنة هنا يمتاز بها عن نوادي المهاجرين من الأجناس والأمم الأخرى . لأننا في النادي نعلم أطفالنا الصغار اللغة العربية ليقوا على صلة بأمتهم وجذورهم ، كما إننا أنشأنا للشباب نادياً رياضياً نال البطولة عدة مرات أمام الأندية الرياضية الأخرى السويدية وغيرها وخاصة في مجال كرة القدم . إضافة للندوات والمحاضرات واللقاءات الأسرية العائلية التي نقيمها بين حين وآخرى ، ويحضرها العرب والسويديون على السواء .

والسيد كاخيا هنا كما هو في بلده سورية وفي العديد من البلاد العربية والأوروبية . علم من أعلام الكيمياء . فهو مؤسس الجمعية الكيميائية السورية منذ عام / 1973 / وكان رئيسها لعدة سنوات . وعمل مستشاراً تكنولوجياً لعدة شركات عربية وأجنبية ، ومستشاراً فنياً لدى وزارة الصناعة في عدن لعدة سنوات ، كما قام بتدريس تكنولوجيا الصناعات الكيميائية في بعض الجامعات والمعاهد في سورية .

كذلك هو أيضاً علم نفتخر ونعتز به من أعلام اللغة والأدب والفقهاء والدين والكيمياء ، فقد ألف العديد من الكتب الأدبية والإسلامية والصناعية والكيميائية إضافة للعديد من المحاضرات والندوات والأبحاث التي قام بها ، وساهم معنا في

النادي بمحاضرة قيمة ألقاها على النساء العربيات بعنوان : **ماذا تعرفين عن الشامبو والصابون والمنظفات** , كان لها أكبر الأثر في التوعية العلمية والصحية والبيئية .

كما أنه إمام وخطيب مسجد مدينة هلسنبوغ .. فهو يؤم المسلمين ، ويخطب بهم ، ويحل مشاكلهم ، ويعقد قران من يريد الزواج منهم ، ويفتيهم ويوجههم ، ونظراً لما يتمتع به من محبة شخصية لدى كافة أفراد الجالية العربية .. فقد رضي الجميع به أن يكون رئيساً ومشرفاً لانتخاب مجلس إدارة النادي الذي تم عام 1996.

إضافة لما يتمتع به من سمعة علمية وتجارية حسنة لدى العديد من الشركات الكيميائية الضخمة هنا في السويد بل وفي البلاد الاسكندنافية كشركة نوبل وكيميرا وروكسولين وغيرها .

ولا أنسى عندما دعنا رئاسة بلدية مدينة هلسنبوغ في : 19 / 8 / 1996 لنكون ممثلين للعرب والمسلمين في السويد في الندوة العالمية التي عقدت في المدينة تحت عنوان : **الشباب والإيمان** والتي حضرها ممثلين عن كافة الأديان السماوية ، والمذاهب الوضعية ، ومن أمم وأجناس الأرض المختلفة .

فوقف السيد كاخيا ملقياً بالعربية كلمة عرب ومسلمي أهل المدينة ، وقمت بترجمتها له بنفس الوقت إلى السويدية . وقام آخرون بترجمتها بنفس الوقت أيضاً إلى الإنكليزية والفرنسية ، وكان لها أثر كبير في نفوس الحاضرين حتى أن المسؤول عن كنائس هلسنبوغ قام فحياناً وصافحنا وطلب منا محاضرات مشتركة .
ولا زلت أذكر قوله فيها :

أيها السادة القادمون من كل أرجاء الأرض ، ومن كل الأجناس ، ومن كل الأديان . اسمحوا لي قبل كل شيء أن أشكر السادة الذين أتاحوا لي هذا اللقاء معكم . وآمل فيما خصص لي من وقت أن أستطيع أن أشرح وأبين لكم ديننا ،

الذي هو دين الإسلام كما نزل على محمد رسول الإسلام . وكما فهمه المسلمون الأولون .

فكلمة الإسلام مشتقة من اللغة العربية ، لغة القرآن من كلا الكلمتين التاليتين :
الأولى - السلام : بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، لذلك كانت تحية المسلمين هي : كلمة السلام عليكم .

الثانية - الاستسلام لله : أي الانقياد والطاعة ، العبودية لله وحده .
ويمكن تعريف الإسلام بأنه :

1 - عقائد : فعلى المسلم أن يؤمن : بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، والقضاء والقدر .

2 . عبادات : فعلى المسلم أن يصلي ، ويصوم ، ويؤتي الزكاة ، ويحج ، ولكل منها فلسفة ومعنى عند المسلم .

3 . معاملات : فعلى المسلم أن يلتزم بما شرعه الله في القرآن ، وما أمر به الرسول محمد ﷺ ، بما ينظم حياة الأفراد والأسر والجماعات والأمم بعضهم ببعض ، ليعيش الجميع بسلام واطمئنان وعدم خوف .

والقرآن الذي هو كتابنا المقدس ، نؤمن ونعتقد به ، ونلتزم بما جاء فيه ، ونفعل ما أمرنا أن نفعل ونبتعد عما أمرنا أن نبتعد عنه فهو دستورنا الذي نسير على هداه.

وهل من أمة يحفظ أبنائها دستور بلادهم ويقرؤونه صباح مساء وفي كل حين كما يفعل المسلمون ؟ وما ذلك إلا التزاماً وتقديساً لهذا الدستور لهذا القرآن لهذا الكتاب المقدس . والنبي محمد ﷺ لخص لنا معنى كلمة المسلم ، والمؤمن في كلمات بسيطة ، إلا أنها عظيمة وكبيرة المعنى فقال :

المسلم : من سلم الناس من لسانه ويده .

والمؤمن : من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم ، وأعراضهم .

وقال علماء الإسلام : وضع المسلم من الناس ، كموضع الأستاذ من تلاميذه ، يعلمهم ، ويرشددهم ، ويحسن إليهم ، ويصبر على أذاهم .

والإسلام أيها السادة قام على ثلاثة أسس متينة :

أولاً . الوحدانية المطلقة في العقيدة : فنحن نؤمن بالإله الواحد ، الذي لا شريك له في حكمه وملكه ، وهو الذي يذل ويعزّز ويعطي ويمنح ، وما من شيء في السماوات والأرض إلا تحت قدرته ، وفي متناول يده وقبضته ، فلا معبود سواه ، ولا حاكم سواه . هذا السمو في فهم الوحدانية كان له الأثر الكبير في رفع مستوى الإنسان ، وتحرير الناس من طغيان الملوك ، والأقوياء ، ورجال الدين ، وتصحيح العلاقة بين المحاكمين والمحكومين ، وتوجيه الأنظار إلى الله وحده ، وهو خالق الخلق ، ورب العالمين ونحن نقرأ في كل ركعة من صلاتنا : **إياك نعبد وإياك نستعين .**

ثانياً . الإيمان بالعلم في أصدق أصوله : فالإسلام ليس دين جهل وخرافات بل الإسلام خاطب العقل والقلب معاً ، وأثار العاطفة والوجدان في آن واحد . فمن جدران المساجد في : دمشق ، وبغداد ، والقاهرة ، وقرطبة ، وغرناطة ، والقيروان ، انطلقت أشعة الشمس إلى الدنيا قاطبة .

وأول آية نزلت من القرآن قوله تعالى : **اقرأ باسم ربك الذي خلق .**

ثالثاً . التسامح الديني : وهذا ما شهدت به حضارتنا ، وذلك التسامح العجيب الذي لم تعرفه أية حضارات قامت على الدين .

فنبى الإسلام محمد **ﷺ** وقد أخرج أهل مكة منها ، وعذبوه وقتلوه وأصحابه ، عندما دخلها على رأس جيش لم تشهده جزيرة العرب من قبل ، دخلها مطأطئ الرأس لرب العالمين . وقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وقادة جيوش الإسلام عندما خرجوا يبلغون رسالة ربهم للناس أجمعين ، لم يحملهم إيمانهم بدينهم ، واعتزازهم بعقيدتهم ، على أن يجوروا في الحكم ، أو ينحرفوا عن سنن العدالة ، أو يجبروا الناس على اتباع دينهم .

ويقول تعالى في القرآن : لا إكراه في الدين . قد تبين الرشد من الغي .
وعندما قام السيد كاخيا باختصار كتاب الطب النبوي للإمام ابن القيم وكتب
عن نفسه أنه إمام وخطيب مسجد مدينة هلسنبرغ ، ما ذلك إلا ليثبت لمن حولنا
هنا في السويد أن ديننا هو دين الحياة . وهذا ما يشهد به التاريخ . ففي الوقت
الذي كانت فيه البلاد الإسلامية مناراً للعلم والحضارة كانت أوروبا تعيش في عصر
الظلمات والجهل والخرافات .
فجزى الله السيد كاخيا عنا كل خير ، وأمد في عمره ليكمل إخراج بقية كتب
سلسلة من قبسات الطب النبوي وغيرها .

كتبه رئيس نادي الصداقة العربي السويدي

محمد أبو سمير حلاوة

إلى الأستاذ الفاضل والعالم الجليل طارق كاخيا (رعاه الله)

لم يدر بخلدي وأنا أجلس معك أنني بحضرة عالم جليل وفقه كريم وعبقري
عظيم شعرت أنني أحلم وكأني أجلس في مجلس جابر بن حيان أو الحسن بن
الهيثم أو ابن سينا . أن النبي عبقرياً من أمتي الذين كانوا متبحرين في علوم شتى
وفنون مختلفة وألقوا ونظموا الشعر وكتبوا في الفقه والدين والفلك والطب والكيمياء .
أما أن تتجسد هذه الصور برجل من زماننا وعصرنا الذي اندثرت به المعجزات
وحل التخصص الدقيق محل العلم الشامل العميق .

إن الأستاذ طارق كاخيا فارس وعالم وأديب وشاعر ومؤرخ هو حقيقة حياة تعيش في قلب الأمة العربية النابض سوريا المعطاء . وأنه فلتة من فلتات الزمن قد لا تكرر إلا بعد زمن طويل . حاولت أن أجد في قواميس مداركي كلمة تصف وتتصف هذا الرجل وعلمه وفقهه فعجزت . وزاد على ذلك الورع والتقوى والتواضع الجم والكرم وسماحة الخلق والأخلاق والفصاحة البليغة .

ورغم أن الكثيرين يعتبروني من المتخصصين العرب في مجال أحد الصناعات أجد نفسي بحرج للبوح بما عندي في حضرته لأن الرجل موسوعة فيها الكثير من الكتب العلمية الرصينة , فهو أنه الفارس إن ترجل صاعداً . وإن غمد سيفه مجاهداً وطنياً في حبه لأمته ولغته . إنه كريم في علمه لا يجد حرج من أن يستفيد كل أبناء جلدته من علمه لوجه الله تعالى , قد لا أجد من العمر بقية لقرأة كل ما كتبه , فتصوروا كم أخذت مؤلفاته من راحته ووقته . وكل ذلك لم يزد الرجل إلا تواضعاً وورعاً وجوداً , إنه المعطاء واهب حياته من أجل أن يرفد تراث الأمة بعلم وافر وخلق باهر . هنيئاً لنا بك وهنيئاً لأمتك برجال من أمثالك يا أبا زياد . وهل وجود الزمان بأمثالك .

المهندس جعفر نايف فرحان

الخبير العربي بصناعة المنظفات والصوابين والزيوت

إلى الأستاذ طارق شكر الجبوري المحترم :

رئيس الاتحاد العربي للصناعات الكيميائية والبتروكيميائية

حبذا لو تكتبون لنا رأيكم في الأستاذ طارق كاخيا

باعتباركم عرفتم شيئاً عنه خلال تعاملكم معه فيما يختص :

(1) خبرته في الكيمياء وإدارته لعدد من المصانع ومن خلال جولاته في البلاد العربية وغيرها .

(2) الانطباع الإنساني الذي شكله لدى المتعاملين معه .

(3) الآراء التي أبدأها ووجدت صدقاً مستحباً لديكم .

حمص في 6 / 11 / 2002

فأجاب الدكتور طارق شكر محمود الجبوري بما يلي :

باعتباري رئيس المجلس الأعلى للاتحاد العربي للصناعات الكيميائية والبتروكيميائية التابع لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية لدينا مجموعة كبيرة وغنية من الكفاءات العربية على امتداد الوطن العربي من الخليج العربي إلى مضيق جبل طارق . ونذكر باعتزاز أن علم الكيمياء بدأه العرب من شيخ الكيميائيين العرب وهو الشيخ جابر بن حيان , وقد خدمت الكيمياء العربية الحضارة الإنسانية سواء في الكيميائية الصرفة أو في كيمياء الصيدلية والأدوية والعقاقير التي انتشرت في أرجاء المعمورة . والبلدان العربية لم تخلو يوماً ما من علماء الكيمياء . ففي العصر الحديث يساهم الكيميائيون العرب ببناء الحضارة الإنسانية ببحوثهم ومخترعاتهم التطبيقية , وقد برز عدد كبير من علماء الكيمياء أخرجهم الكيميائي المصري زويل الذي نال جائزة نوبل للعلوم الكيميائية عام 2001 م . وإننا كمنظمة كيميائية لنا الفخر والاعتزاز أن يكون بيننا شيخ جليل للكيميائيين العرب الذي هو الكيميائي طارق إسماعيل كاخيا الذي يتصف بصفات عربية وإسلامية وإنسانية وعلمية عالية .

فهو العالم المخترع و الإنسان الدؤوب على بحوثه ودراساته التي يقدمها للمواطن العربي بلا قيد ولا شرط وهو الإنسان المستقيم جداً والمتواضع جداً والذي نذر نفسه في خدمة المواطنين العرب للعلوم الكيميائية الحديثة ونشاطاته الفكرية والتاريخية والإنسانية الضخمة حيث تغص المكتبات العربية بمؤلفاته القيمة والموضوعية في كافة أنحاء الوطن العربي .

إنه طارق إسماعيل كاخيا الذي يتدفق كرمًا ونخوة وعلمًا وحصانة وخلقاً كريماً . وأختم حديثي بتقديم تمنياتي لشيخ الكيميائيين العرب .

د . م طارق شكر الجبوري
رئيس الاتحاد العربي للصناعات
الكيميائية والبتروكيميائية / بغداد

إلى الدكتورة رخصانة محمد إسماعيل المحترمة : الأستاذة في جامعة عدن

حبذا لو تكتبين لنا رأيك في شخصية الأستاذ طارق كاخيا باعتبار معرفتك به تعود لسنوات طويلة خلت على ما علمت منذ أن عمل مستشاراً في وزارة الصناعة والتجارة والتموين في عدن , وباعتبارك مؤسسة للجمعية الكيميائية اليمنية ورئيسة لها لعدة دورات , كما أن السيد كاخيا هو مؤسس الجمعية الكيميائية السورية ورئيسا لها لعدة دورات . أي أن بينكما قاسماً مشتركاً , ولا بد أنك عرفت شيئاً كثيراً عنه خلال تعاملك معه فيما يختص :

(1) خبرته الكيميائية والعلمية التي يقدمها في المؤتمرات العلمية العربية والأجنبية

(2) الانطباع الإنساني الذي شكله لدى المتعاملين معه .
وذلك لأنني أعد كتاباً عن حياة الصديق الأستاذ كاخيا حفظه الله .

الباحث : محمد فيصل شيخاني

حمص في 17 / 04 / 2003

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأستاذ الفاضل السيد الباحث محمد فيصل شيخاني المحترم :

يسرني ويسعدني أن أبعث إليكم بجواب ما طلبته مني بشأن بيان رأيي
بشخصية الأستاذ طارق إسماعيل كاخيا حفظه الله :

قبل كل شيء أقول أنني مهما كتبت عنه فإنني أعتقد جازمة أنني لا أوفيه
حقه , ولا أستطيع أن أصف شخصيته الفذة من كل جوانبها , لتعدد مواهبه
ومجالات نشاطه كما هو معلوم لكل من عرفه حق المعرفة .

لقد تعرفت على شخص الأستاذ طارق صدفة في أبو ظبي أواخر عام 1987 مع
مجموعة من الشخصيات العلمية ورجال الأعمال أثناء لقاء علمي نظمه الاتحاد
العربي للصناعات الغذائية حول صناعة الصابون والمنظفات الصناعية وأفاق
التعاون بين البلاد العربية لهذه الصناعة , وهو أحد الاتحادات النوعية التابع
لمجلس الوحدة الاقتصادية للجامعة العربية . فلم أجد في حينه شخصية امتلكت
حب الوطن العربي والإصرار على تقديم المعرفة والخبرة للبلاد العربية كما وجدته
في شخص الأستاذ طارق .

وصادف موعد انعقاد المؤتمر عيد الوحدة الوطني لاتحاد الإمارات العربية ,
وفي برنامج ليلة ختام المؤتمر كان على بعض المندوبين إلقاء كلمات , فتحمس
الأستاذ طارق وطلب من رئيس المؤتمر إلقاء كلمة ولم يكن في برنامج المؤتمر له
ذلك وفوجئ الجميع بعد أن وافق رئيس المؤتمر له باعتماد المنصة أن ألقى
قصيداً عفوية يهنئ الحضور بعيد الوحدة الوطني لدولة الإمارات العربية ويشكر

فيها المنظمين للمؤتمر ويشرح فيها التوصيات والقرارات , فكان لها وقع كبير على نفسي ونفوس الحاضرين , ومما أذكر كان مطلعها :

وافخر بقومك آباء وأجدادا	حيي العروبة أبناء وأحفادا
فبارك الله فيكم خير أحفادا	في عيد وحدتكم جننا نحبيكم

وختمها بقوله :

عدن فمكناس فبغدادا	من دمشق العروبة أحيي
--------------------	----------------------

وكانت حكومة عدن وقتها ترغب بإقامة مشروع لإنتاج الصابون بأنواعه والمنظفات بأنواعها , وعندما عرض السيد طه شاكر رئيس الوفد اليمني ونائب وزير الصناعة والتجارة والتموين لشؤون الصناعة ذلك على الخبراء والعلماء العرب المشاركين في المؤتمر طالباً منهم النصح وتقديم دراسة لهذا الموضوع علمياً وفنياً واقتصادياً , وبين لهم أنه في السابق تم تكليف شركة دراسات إنكليزية التي قدمت دراستها وتقريرها بعد أن بقي خبراءها أشهراً عديدة في عدن وتم استدراج عروض للمصنع بناء على هذه الدراسة , ولكن التقرير لم يكن واضحاً وكافياً وكذلك العروض .

فما كان من الأستاذ كاخيا إلا قال للأستاذ شاكر : أنا مستعد لذلك وسأكون لكم بإذن الله الناصح القوي الأمين , ومن عجيب الصدف أن الأستاذ كاخيا كان قد تعرّف والنقى بالأستاذ شاكر عام 1972م في الإسكندرية أثناء مؤتمر ولقاء علمي عن صناعة الزيوت والدهون كان قد أقامه مركز التنمية الصناعية لجامعة الدول العربية , أي قبل خمسة عشر عاماً , ألقى السيد كاخيا في حينه بحثين على ما ذكر لي , أحدهما : تكرير زيت الزيتون السوري لتحسين مواصفاته . والثاني : طريقة جديدة في تكرير زيت القطن .

وما كان من الأستاذ طه شاكر إلا أن وجه دعوة رسمية للأستاذ كاخيا لزيارة عدن والذي قبل هذه الدعوة , وجاء عدن وقدم دراسة جدوى اقتصادية للمشروع على ضوء المستجدات , مع دراسة وإعادة تقييم الدراسة الإنكليزية السابقة , ومع

وضع دفتر الشروط الفنية والقانونية لهذا المصنع , وتم إعلان عطاء عالمي للمصنع , وتقدمت شركات أجنبية عدة بعطاءاتها وعروضها , وكان الأستاذ كاخيا أحد أعضاء اللجنة المكلفة بدراسة هذه العروض .

وبغية استكمال الدراسة دعا الأستاذ كاخيا كل من الأستاذ طه شاكر معاون الوزير لشؤون الصناعة والسيد عبد الله باحنان رئيس دائرة العقود في الوزارة لزيارة بعض الشركات والمصانع المنتجة والمهتمة بمثل هذه الصناعة في الدانمارك والسويد واستضافهما هناك في بيته في مدينة هلسنغبرغ في السويد .

ثم توطدت علاقة السيد كاخيا خلال زيارته المتكررة والمتعددة لعدن من عام 1987 م وحتى عام 1993 م مع العديد من المسؤولين والتجار ورجال الأعمال في عدن وغيرها من مدن الجنوب اليمني , وهذه صفة مميزة فيه , فهو لا يلتقي بإنسان إلا وتستمر علاقته به بكل مودة واحترام ومحبة وتقدير قائلاً : إن الله يسأل عن صحبة ساعة , فكيف بأيام وأشهر وسنوات .

وكان أن قدم العديد من دراسات الجدوى الاقتصادية للعديد من المشاريع الصناعية للعديد من المستثمرين اليمنيين في عدن , منها :
دراسة الجدوى الاقتصادية لمشروع إنتاج النشاء والجلوكوز وأغذية الأطفال من حبوب الذرة بأنواعها .

دراسة الجدوى الاقتصادية لمشروع إنتاج أخشاب البناء والأثاث والخشب المضغوط والخشب المعاكس من جذوع الأشجار المستوردة من ماليزيا وأفريقيا .
ومن محبته لعدن وأهلها , والذين هم أحبوه أيضا بقدر حبه لهم , حيث عاش وتأقلم معهم في أفراحهم وأتراحهم وسهراتهم وعاداتهم في المأكل والمشرب والملبس , دعاه ذلك عندما صدر قانون الاستثمار اليمني رقم (5) لعام 1990م وأن تكون عدن منطقة حرّة أن قام بتقديم مشروع صناعي خاص به لإنتاج الصابون بأنواعه , وأخذ موافقة الجهات الرسمية عليه بغية الإقامة الطويلة في عدن .

ولكن للأسف فإن كل هذه المشاريع التي قام بإعداد دراسة الجدوى الاقتصادية لها لم تر النور بسبب قيام الوحدة بين شطري اليمن الشمالي والجنوبي .
 فمن لقاءاتي المتعددة معه خلال زيارته المتعددة لعدن ، أو من خلال زياراتي المتكررة لحمص حيث كنت أشارك في بعض المؤتمرات والندوات العلمية التي تقيمها جامعة البعث ، أو نقابة المهندسين السوريين ، أو الجمعية الكيميائية السورية ، إضافة لقيامي بأبحاث مشتركة مع بعض الدكاترة في كلية الهندسة الكيميائية والبتروولية بجامعة البعث بحيث تتطلب حضوري المتكرر لحمص في كل عام مرة أو مرتين ، فكنت ولا بد أن ألتقي بالأستاذ كاخيا في عدن أو في حمص ، وحتى إذا عرّ اللقاء كنت أرسله لسؤاله عن الكثير من الأسئلة العلمية والتي ما كنت أجد جوابها إلا عنده . وفي كل لقاء كنت أجد عنده أبحاثاً ومؤلفات جديدة لم تكن عنده من قبل ، فهو واسع المعرفة ، وغزير الإنتاج والتأليف .

ومن معرفتي به خلال هذه السنين الطوال اكتشفت فيه أشياءً وسماتاً وخصائصاً لم أجدها قط في أية شخصية عربية وأجنبية قابلتها طيلة حياتي العلمية والعملية حتى هذه اللحظة . فلقد جمع العديد من الصفات الإنسانية الجليلة، شخصية الإنسان الورع الملتزم بدينه الإسلامي وقيمه ومبادئه ، وهذا ما عرفته من اطلاعي على العديد من مؤلفاته الدينية . كما جمع بين الإنسان العالم والمحب للمعرفة والاطلاع ، وعرفت هذه السمة من خلال العديد من مؤلفاته العلمية في مجال الكيمياء وغيرها من العلوم واهتماماته المتعددة في هذا العلوم .

كما أن الصفة المميزة للأستاذ طارق كما قلت سابقاً هي :

إصراره على التواصل ، واحترامه للمواعيد ، ووفاءه للوعود ، وتقديمه الخبرة لمن يحتاجها والمعرفة لمن يريد لها بدون أي مقابل .

وفي لقاءتي معه هذه المرة خلال فترة إقامتي في حمص خلال أواخر شهر آذار وأوائل شهر نيسان لعام 2003م لمتابعة بحثي المشترك مع بعض الدكاترة في كلية

الهندسة الكيميائية والبتروولية بجامعة البعث أكبرت واكتشفت فيه أمران لم أكن أعلمهما عنه في السابق وهما :

الأمر الأول : محبته للتأريخ والتراث وتسجيل الأحداث وتوثيقها , وهذا ما فاجأني به عندما أهداني : نسخة من محاضراته مع جمعية العاديات بحمص عام 2002م حول : **الكيمياء عند العرب** . ونسخة عن محاضراته مع جمعية العاديات بحلب عام 2002م أيضا حول دور الكيمياء في الكشف عن الآثار وحفظها . ونسخة من كتابه : **معالم وأعلام من حمص الشام في القرن العشرين** الذي ألفه بالمشاركة معك . كما أطلعني على مسودة مؤلفه بعنوان : **الإصابة في من نزل بحمص من الصحابة** .

والأمر الثاني : محبته للجهاد ونصرة أمته وتقديم العون والخبرة للمجاهدين وأهل انتفاضة الأقصى في فلسطين فيما يحتاجونه من تركيبات كيميائية ودوائية وغيرها هم بحاجة إليها من مواد أولية متوفرة بحوزتهم في كل مكان , وقد أطلعني على نسخة من أماليه في هذا الموضوع قائلاً عندما وجدني مستغربة ذلك : **إن السهم ليثاب به ثلاثة نفر : الذي صنعه , والذي نقله , والذي رمى به** .

وإجمالاً لقد جمع الأستاذ طارق خصالاً حميدة يفخر بها الإنسان , وأملني أن يقتدي به الشباب السوريون خاصة , والشباب العرب عامة . أضف إلى ذلك إحساسه المرهف والذي يعبر عنه في قصائده الشعرية تجعل الإنسان أسير هذه الشخصية التي جمعت بين العلم والأدب والشعر والجهاد فاستحق بذلك اللقب الذي دعاه به الكيميائيون العرب بأنه شيخ الكيميائيين . ولا عجب أن قام الأمين العام لاتحاد الكيميائيين العرب الدكتور العراقي السيد **رعد كاظم مصلى** من خلال أعمال المؤتمر الكيميائي العربي الحادي والعشرين

والذي أقيم في رحاب جامعة البعث بحمص عام 2001م بتكريمه لما قدمه للجمعية الكيميائية السورية وللكيمياء العربية من خدمات ودراسات وتضحيات بالمال والوقت والجهد بما يشهد له الجميع بذلك .
فليحفظه الله وليصونه ذخراً لهذه الأمة , متمنية له تحقيق ما تصبو إليه نفسه , مع صحة دائمة موفورة بالسعادة .

د . رخصانة محمد إسماعيل

أستاذ مشارك . كلية التربية . جامعة عدن
مديرة مركز المرأة للبحوث والتدريب . جامعة عدن

إلى الكيميائية الأنسة لمياء الشيخ عثمان المحترمة :

السلام عليك ورحمة الله وبركاته , ويعد :
لما كنت بصدد إصدار كتاب أترجم فيه لحياة أختنا الأستاذ : طارق إسماعيل كاخيا . لأن قصته قصة رجل عالم جليل ناجح ومبتكر , وأنموذج لكل إنسان يتطلع إلى العلياء , وليرفع شأن أمته ووطنه وبلده .
وبما أن المثل يقول : كل طالب معجب بأستاذه .وقد وجدت بغيتي فيك لأتعرف على الصفات أو العادات أو الأعمال التي جعلتك تعجبين به وزادت في محبتك له .كما أرجو التفضل بكتابة ما تعرفينه عنه مبينة :

كيف تعرفت عليه , وما هي علاقتك معه منذ تعرفت عليه . وما هي أمنياتك له . ما رأيك به من الناحية العلمية والمهنية والتدريسيّة والاجتماعية . يقول علماء النفس : إننا عن طرق محبتنا للأستاذ نحب المادة التي يدرّسها , حبذا لو تكتبين لنا الأسباب التي جعلتك تحترمين وتحبين وتقدرين الأستاذ طارق . ما هو المميز فيه عن أقرانه . ما هي الأمور التي تؤلمه أو تنثيره . هل يميّز أو يوجه اهتماماً لطالب دون طالب , ولإنسان دون إنسان . ما هو سرّ استمرار الصلة بينكما على مدى هذه السنين الطوال التي مضت على معرفتكما ببعض . كيف تشعرين عندما ترين الاحترام والتقدير الذي يكنه الناس له . هل هو معطاء في دروسه وشرحه . ما هي الأمور التربوية أو العلمية التي زرعها في نفسك . إذا طلبت منك وصفه فماذا تكتبين . شاكرًا لك حسن تعاونك سلفاً , وتفضلي قبول فائق الاحترام .

الباحث : محمد فيصل شيخاني

حمص في 17 / 6 / 2003 م .

إلى الأستاذ الباحث محمد فيصل شيخاني المحترم :

. في ردي على سؤالك عن الأستاذ طارق كاخيا سوف أتحدث بشيء من العفوية عن العلاقة التي جمعتني به واستمرت إلى هذا التاريخ .
- سأحدث عن الأستاذ العظيم , والرمز الكبير في العلم والمعرفة , عن الكيميائي الذي درّس وعلمّ وعمل في الكيمياء , والذي له الفضل في تشكيل التجمع الكيميائي السوري الذي ساهم في تشكيل جمعية الكيميائيين السوريين , ومن خلال ترأسه لها ساهم في نجاحها وأغناها بأفكاره وبالكثير من الندوات والمحاضرات المتنوعة .

. كما ساهم بتطبيق علم الكيمياء على الصناعة في تطوير كثير من صناعاتنا المحلية , واستمرار وتطور العديد من مصانعنا . وله الكثير من المؤلفات والمختصرات والترجمات في هذا العلم , وكذلك في العلوم الأخرى .
 . فعندما أتحدث عن الأستاذ طارق , فإنني أتحدث بكثير من الفخر والاعتزاز , كوني أتلمذ على يد عالم من علماء الكيمياء الفريد في وقتنا الحاضر . وأتحدث عن علم من أعلام اللغة والأدب والفقه والدين , فإنني أتحدث عن حديقة علمية متنوعة فيها كل أزهار العلم .

. الأستاذ طارق كاخيا هو مثال واقعي للإنسان الناجح الطموح النشيط المبتكر الغزير الإنتاج , فهو لا يتوقف عن الابتكار والعطاء .
 - بالنسبة لي الأستاذ طارق , هو الأستاذ الجليل , والأب العطوف المعطاء , وهو ملاذي في كل مشكلة تواجهني في عملي , وقد تعرفت عليه منذ أن بدأت أعمل بمجال الكيمياء , حيث كنت في عام 1996 م أعمل مسؤولة عن مختبر إحدى كبرى شركات صناعة الزيوت النباتية ومنتجاتها المتنوعة في مدينة حمص . وكان صاحب الشركة قد لجأ لخبرة الأستاذ طارق في هذا المجال لحل بعض المشاكل التي كانت تواجهنا في خطوط الإنتاج ولتحسين مواصفات المنتجات , فعمل كمستشار للأمور الفنية والعلمية والتكنولوجية , وقد ساهم بخبرته الطويلة في هذا المجال , كونه قاد فيما سبق عدداً من الشركات والمؤسسات العامة والخاصة في سورية وفي بلدان أخرى إلى النجاح والتطور خلال عمله مسؤولاً عنها , في حلّ الإشكاليات وتطوير وتوسيع خطوط إنتاجها وتحسين منتجاتها .

- فقد لفتتني منذ البداية شخصية هذا الإنسان بما لديه من علم وخبرة , وبتواضعه وعطائه , وبقدرته على تحمّل أعباء ومسؤوليات العمل , وطاقته اللامحدودة .

- ومن هنا بدأت علاقتي به , وصرت أتعلم منه , وهو لا يتردد بأن يجيبني عن أي تساؤل بكثير من الشرح والتفصيل , ويعلمني كيف أفكر وأناقش وكيف

أتعامل مع الصعوبات ، وقدسأهم مساهمة كبيرة في رفع مستواي الثقافي ، وجعلني أكثر تفهماً للمشاكل والأمور الصناعية ، وبقيت ألجأ إليه بالاستشارات العلمية وهو يجيبني بكل محبة وودّ ، مما زاد في خبرتي بعلمي ، وأفادت من ذلك الشركات التي عملت بها ، دون أن ينتظر مقابل لذلك ، كان همه تطوّر صناعاتنا بشكل علمي ، ولنستفيد من علمنا ونسخره للخدمة العامة في كل المجالات ، وطبعاً ذلك لا يقتصر عليّ بشكل شخصي ، فالأستاذ طارق هو الملجأ السليم لحلّ أي إشكال في مصانعنا ولا يرد أي شخص دون أن يوصله للطريق السليم .

- فأنا لم أجد إنساناً يمتلك من العلم ما يمتلكه الأستاذ طارق ، وبعد أن عملت في أكثر من شركة لا زلت ألجأ إليه بالاستشارات الفنية والعلمية ، كما يسارع أصحاب هذه الشركات لاستشارته بأمور مصانعهم وسبل تطويرها وتوسيعها وحلّ العراقيل والصعوبات التي تواجههم ، حيث يساهم بإرشادهم إلى طرق بسيطة في حلّ هذه المشاكل .

- الأستاذ طارق كاخيا ليس شيخ الكيمائيين كما يسمى فحسب ، بل له العديد من المؤلفات في شتى مجالات الكيمياء ، إضافة إلى ذلك فهو ناقد وباحث أدبي ، وهو أيضاً فقيه في الدين وبأمور الحياة كلها ، محب لبلده ولأمته ، وتلاحظ قوميتته وانتمائه لأمته واضحاً من خلال حديثه ، وحتى من خلال شرحه لمادته يحظى باحترام وتقدير لافت من قبل من يتعامل معه ، وذلك لتواضعه الشديد وحبّه للناس وللخير والعلم والعطاء .

- وعندما يدرّس مادته نجدّها ممتعة جداً بأسلوبه البسيط ، ويجعلك تحب الكيمياء من خلال ربطه الدائم بين العلم والحياة ، ويبسط لك معقدات العلم وجفافه ، فتصلك المعلومات العلمية وكأنك تستمع لأحداث قصة مشوقة ، أو أسطورة من أساطير الحياة ، وهو قادر على تحريك عقول تلامذته واستفزازها وإخراج ما بها من أفكار مفيدة ويفجر فيها طاقات خَلّاقة إلى مجالات التطبيق ، ويشعر تلامذته بحبه

لهم , وحرصه عليهم , ومتابعته إياهم , ويزيد من ثقتهم بأنفسهم , وهذا ما يجعل من يتلمذ على يديه يحب هذه المادة ويجيدها ويكون حاضراً في هذا المجال .
 إن أكثر ما يؤلم أستاذي الكبير كما ألاحظ وأستنتج من أحاديثه وممارساته , هو أن يرى أمتنا وهي الرافعة لرؤية العلم والمعرفة في القرون الماضية , تستعين بالغرب في أمور نحن قادرين لو سخرنا ما لدينا من علوم , واستخدمناها الاستخدام السليم , ومارسناها بشكل علمي وعملي صحيحين أن نستغني عن هذه الأمور بل أن نصدرها لهم , وهو يحاول أن يطبق ذلك في أعماله .

. والأمر الآخر الذي يثيره هو ما يراه عند الشاب المتعلم الذي غالباً ما يتوقف عند تحصيله العلمي ولا يطور نفسه , ولا يتطور مع تطور العلم , لذا ترى الأستاذ طارق دائب على تجميع الشباب العلمي وتحفيزهم على الاستزادة من العلم والاستفادة منه في حياتهم العملية , وإفادة المجتمع والوطن والأمة لتزداد رقياً ورخاءً .

. والآن وبعد أن مضى حوالي عشر سنوات على إنهاء دراستي الجامعية , فأنا على علاقة مميزة مع أستاذي العظيم , ولا زلت تلميذة أنهل ما أستطيع من بحر علمه ومعرفته . وأفتخر أنني الآن أعمل معه في أبحاثه وتجاريه , وأسجل وأراجع له ما أستطيع من كتبه وأبحاثه .

- أدعو الله تعالى أن يحفظه لنا مرجعاً علمياً رائداً , وأن يمد في عمره لننعم بعطائه العلمي الذي لا ينضب , وأن يعينه الله على إتمام مشروعه الكبير الذي هو دائم العمل فيه في نشر العديد من المؤلفات التي هي خلاصة فكره وخبرته في هذه الحياة بشتى المجالات , وأن يخرجها إلى النور لتكون مرجعاً وملاذاً لكل محب للعلم والمعرفة .

- إنني أحبه وأحترمه وأجلّه كثيراً , وأعتقد أن السبب في ذلك هو صدقه في التعامل مع الناس , وشعوري الدائم أنني بحاجة لأن أستفيد من علمه وخبرته , وأنه الإنسان الوحيد الذي يعطي عطاء غير محدود دون أن ينتظر الردّ . لقد زرع فيّ

حب الناس وامتعة العطاء والإتقان بالعمل إضافة إلى الأدب والأخلاق الحميدة
الفاضلة . وعلمني كيف أكون قوية ومميّزة وقادرة على خوض صعاب الحياة , وأن
أثبت أنني موجودة في أي مكان أتواجد فيه .

ولا بدّ لي أن أشير إلى أن الأستاذ طارق لا يميّز طالباً عن آخر , كما أنه يحب
التعاون المجدي بين الجميع . ويساهم في جعل العلاقات بين الناس تكاملية وليست
تنافسية .

أشكر الباحث الأستاذ شيخاني على إتاحتها هذه الفرصة لأعبر عن شيء مما يمكنه
طلابه له من محبة وتقدير

لمياء الشيخ عثمان دبلوم في الكيمياء التحليلية

إلى الشاعر المجاهد السيد عبد الغفار إسماعيل المحترم :

السلام عليك ورحمة الله وبركاته , وبعد :

لما كنت بصدد أن أكتب كتاباً أترجم فيه حياة أختنا : ابن خالتكم الأستاذ
الفاضل , والرجل العالم , والباحث الناقد , والزوج الصالح , والأب الرؤوف الرحيم ,
والأخ المحب , والصديق المخلص , والمربي المعطاء , شيخ الكيميائيين كما
يدعونه أقرانه , الأستاذ : طارق إسماعيل كاخيا .

لأن قصته قصة رجل عالم جليل ناجح ومبتكر , وأنموذج لكل إنسان يتطلع
إلى العلياء , وليرفع شأن أمته ووطنه وبلده .

لذلك أرجو التفضل بكتابة ما تعرفه عنه , مبينا مدى المحبة بينكما , ومدى
العلاقة بينك وبينه وبين أخويه , ومدى تأثير والدته خالتكم عليه وعلى العائلة

والأقرباء جميعاً . كما علمت أنك تقرض الشعر , فهلا أتحدثنا ببعض أبيات من الشعر قلتها في شخصه . شاكراً لك حسن تعاونك وتفضل قبول فائق الاحترام .

أخوكم الباحث :
محمد فيصل شيخاني

وقد أجاب المجاهد الفاضل عبد الغفار إسماعيل بما يلي :

إلى الأستاذ الفاضل والباحث الأستاذ فيصل شيخاني المحترم :
جواباً لما طلبت بأن أكتب شيئاً عن ابن الخالة الفاضل الأستاذ طارق إسماعيل كاخيا , فقد عدت إلى ديوان شعري الذي أكتب قصائدي في مناسبات عدة وخاصة الوطنية منها ومدح من يستحق المدح , فلم أجد أفضل من أبعث إليك بهاتين القصديتين الذي كتبتهما عن ابن خالتنا الأستاذ طارق إسماعيل كاخيا منذ سنوات عدة خلت .

القصيدة الأولى : يوم قام مع بعض زملائه الكيميائيين بتأسيس الجمعية الكيميائية في حمص عام 1973 م , ولما لم يكن لها مقر فقد جعل مكتبه في

مصنعه القديم بحي باب هود مقراً للجمعية ولعدة سنوات إلى أن تم استئجار مقر لها إلى جانب جمعيتكم : الجمعية التاريخية .

والقصيدة الثانية : كتبتها عنه عام 1991 م بمناسبة عيد ميلاده الثالث والخمسين :

جمعية الكيمياء في حمص

من معمل صانه الإخلاص والنصب	جمعية الكيمياء في حمص قد بدأت
بعد النشاط وأدت خير ما يجب	إذ تابعت خطها الميمون واشتهرت
بالصدق جمهورنا تعطي وتكتسب	لا يستهان بها جمعية خدمت
بالعلم سعياً من الإعجاز يقترب	أثنوا على طارق يسعى لنهضتها

الكيميائي الحاج طارق إسماعيل كاخيا

رئيس الجمعية الكيميائية السورية , واب الخالة الودود

وبالإخلاص ليس له حدود	من الأرحام مخلوق ودود
وقد نال النجاح كما يريد	تخرج ناجحاً من عين شمس (1)
وبالتصنيع طبّاح فريد	خبير في علوم الكيمياء
حلاوتها لخبرته تعود	معامل سكر الشام استعادت (2)
على إنتاجها الماضي تزيد	تولى أمرها زمناً فأضحت
فإن نقاشه الرأي السديد	إذا ما نوقشت آراء حفل
فينتفع النبيه ويستفيد	ويعطي الدرس للطلاب جهداً

وبالشرع الحنيف طويل باع	خطيب مفوّه ورع رشيد
سخي النفس ما مدّت إليه	يد محتاجة إلاّ يوجد
وبسمة فيه(3) جرّت كل شخص	يبث له الهموم وبه سعيد
وطارق ذو شقيقين استفادا	من الدنيا علوماً لا تبيد
فإبراهيم(4) للأركان ينشي	مقالات الوغى وهو العميد
كما عبد الرحيم أديب قوم	يحدّ مكانه اليمن السعيد(5)
لهم أم رؤوف قد توارت	وفي قصر الجنان لها خلود
حظينا بالسعادة عن يديها	كما بذلت بهمتها جهود
فيا أهل الخصاصة فاسألوه	فطارق حاتم الطائي الجديد

(1) : درس السنة الأولى والثانية في كلية العلوم بجامعة عين شمس بالقاهرة , وتابع

السننين الثالثة والرابعة في كلية العلوم بجامعة دمشق .

(2) : تولى منصب مدير الإنتاج في المؤسسة العامة للسكر في سورية 1969 . 1972

(3) : فيه : فمه

(4) : العميد إبراهيم كاخيا

(5) : عمل الأستاذ عبد الرحيم مدرساً للغة العربية في منطقة نجران على حدود اليمن .

رأي زوجته السيدة الفاضلة الحاجة دلال بنت عبد الحميد خرسان المحترمة :

إلى الأستاذ الفاضل السيد فيصل شيخاني المحترم :

السلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد :

أرسلت إلي خبراً مفاده أنك تريد أن تؤلف كتاباً تترجم فيه سيرة زوجي أبا زياد حفظه الله ورعاه , الزوج الصالح , والأب الرؤوف الرحيم , والأخ المحب الكريم , والصديق الوفي المخلص , والمربي المعطاء , طارق إسماعيل كاخيا , وتسالني أن أدلي بدلوي بذلك وأن أكتب رأيي فيه وما أعلمه عنه بكل تجرد , وأن أكتب مسيرة عمري معه .

لقد سألتني عن أمر عظيم جليل ، بأن أكتب وأثبت وأؤرخ لسنوات طوال من عمري مع أبي زياد . حيث تزوجته وأنا في التاسعة عشر من عمري ، وأنا الآن قد تجاوزت الستين ، ثلاثة وأربعون عاماً من عمري مرت معه وكأنها لحظات ، حيث قضينا هذا العمر معاً في سعادة وهناء ، ولم لا وقد قضيناه في طاعة الله ورسوله ، وتأسيس الأسرة العربية المسلمة المؤمنة الحقّة .

وقد رزقنا الله أربعة بنين وابتنتان ربيناهم جميعاً أحسن تربية ، وعلمناهم أفضل تعليم ، فكلهم دخلوا وتخرجوا من المعاهد والكلديات ، وتزوجوا ورزقوا من البنين والبنات ما نقر به أعيننا ، فالأحفاد كما يقولون أعلى من الأولاد ، وكلهم غال .

ربينا الأولاد على حب الله ورسوله وطاعتها ، وربيناهم على حب الوطن والإخلاص له والدفاع عنه ، وربيناهم على حب الخير للناس أجمعين وتقديم المعونة والنصح للجميع . فهم والحمد لله كرام بررة كوالدهم ، راضين عنهم وراضين عنا ، هم وأولادهم . حتى أن سعادتنا وسعادة الأحفاد لا تتم إلا إذا جاءوا إلينا و فكلهم يقول ويلح في الطلب لأبائهم وأمهاتهم متى نذهب إلى (تيتي وجدوا) ، خذونا إليهم فقد اشتقنا إليهم . ولا تسأل عن بكائهم وإصرارهم على البقاء معنا كلما أراد آبائهم وأمهاتهم أن يعودوا بهم إلى بيوتهم بعد انتهاء زيارتهم لنا .

أعود بذاكرتي الآن إلى خمسين سنة خلت أو أكثر ، حيث كنت آتي لزيارة خالتي المرحومة مهدية بنت التاجر الصدوق والصناعي المعروف ، الحاج الفاضل عبد الرحمن الترك ، وهي زوجة عم زوجي ، وكان أبوه وعمه يسكنان في دار واحدة كعادة وحالة أهل حمص سابقاً في ذلك الوقت ، فإذا ما تزوج الولد أعطوه أو بنوا له غرفة في هذه الدار ، وتبقى العائلة بدءاً من الجد للأباء للأبناء للأحفاد وربما لأحفاد الأحفاد في دار واحدة . يشتركون جميعهم في مطبخ واحد ، وفي غرفة جلوس واحدة ، وفي غرفة ضيوف واحدة ، وفي حمام واحد . الحياة بسيطة وغير معقدة ، والكل راض ومسرور ، والأولاد يلعبون ويمرحون سوية في صحن الدار تحت رعاية أمهاتهم وأبائهم .

كان بيت والد زوجي وعمه من البيوت الجميلة والواسعة في حمص ، في شارع الذهبي (شارع حمام الذهب) فهو مبني من حجارة حمص البازلتية السوداء ، وهو يتألف من طابقين :

الطابق الأرضي يتألف من : غرفتين غربييتين إحداهما مخصصة كمنزول (قنّاق) يسهر فيه أهل الحارة وغيرهم يوميا يتسامرون ويتشاورون في الأمور كلها بما يخدم مصلحتهم ومصلحة البلد وربما نام بها الضيوف أو شركاء والده وعمه من البدو بعد انتهاء السهرة وذهاب أهل الحارة ، والأخرى كليوان للمعيشة اليومية. وغرفتين قبليتين (جنوبيتين) أحدهما لوالده ، والأخرى كانت لجده وجدته ثم أصبحت لعمه ثم لأخيه الأستاذ **عبد الرحيم** علماً بأنه تزوج في نفس اليوم الذي تزوجنا نحن فيه فقد كانت حفلة عرس واحدة له ولأخيه . وهناك غرفة مؤونة كبيرة وواسعة مشتركة . ومطبخ كان يوجد فيه تنور لخبز العجين وموقد على الحطب للطبخ ولكن التنور والموقد قد هدمما بعد دخول البابور (موقد زيت الكاز) ومن ثم موقد البوتاغاز . ثم هدم المطبخ وبنيت مكانه غرفة من الإسمنت أصبحت غرفة لنا يوم زواجنا ، وقلبت غرفة المؤونة إلى مطبخ . وحمام كانت تسخن ماءه على موقد من الحطب ثم قلب الموقد ليعمل على المازوت .

وكان سمك الجدران في الطابق الأرضي تتجاوز المتر، لأنه صمم ضمنها : اليوك (مكان لوضع الفرش واللحف) والمصب (مكان لوضع أباريق الماء وغيرها) والكتيبات والخراستين (أمكنة وضع الكتب والتحف وغيرها) .

والطابق العلوي مؤلف من أربع غرف : غرفة لكل زوجة من زوجتي عمه خالتي وضررتها ، وغرفة لطارق وأخيه الأستاذ عبد الرحيم بعد أن تزوجت أختاه وأخوه الأكبر إبراهيم الذي دخل الكلية الحربية وتخرج منها ملازم عام 1953م وتنقل في معظم البلاد السورية من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وأحيل للتقاعد برتبة عميد ، والغرفة العلوية الرابعة كانت لاستقبال الضيوف أو نومهم إذا لم تنتسح غرفة المنزل (القنّاق) .

وكانت دار أهلي تتألف من طابق أرضي واحد فقط ، وفسحة سماوية ، وبئر ماء مجهز بمضخة يدوية (طرمبة) ، ومن غرف عديدة ، غرفة لأخي الحاج المرحوم راتب وزوجته وأولاده ، وغرفة لأخي العازب **عبد الحفيظ** ، وأخوتي الثلاث هؤلاء هم اخوتي من أبي حيث توفيت والديهم وهم أطفال صغار فتزوج والدي بعدها والدي والتي قامت على تربيتهم حتى تزوجوا في كنفها وكنف والدهم ، واشتغلوا جميعاً مع والدهم في سوق الهال . وغرفة كانت لوالدي ووالدي ، وغرفة لنا نحن أولادها الصغار حيث كنا ثلاث بنات أنا وأوسطهم وولدان أخي الكبير الحاج **محمد نزار** الذي أخذ أيضاً مهنة والده في سوق الهال ، وأخي الأصغر **محمد زهير** المهندس الزراعي فيما بعد . وكانت هناك غرفة معيشة مشتركة ، وكذلك مطبخ مشترك وحمام مشترك .

رزق والد طارق العديد من الأبناء بقي منهم على قيد الحياة ثلاثة بنين وهم إبراهيم وعبد الرحيم وطارق ، وابنتان وهما **طرفة** و**حميدة** . أما عمه وهو زوج خالتي فقد تزوج ثلاث نسوة ، ولدت له زوجته الأولى ابنة وحيدة تزوجها ابن خالة أبيها الوحيد لأبويه والمقيم في حماه ، المربي الكبير الفاضل الأستاذ **أحمد خالد صناديقي** والذي رزقه الله ولدان والعديد من البنات وتربى طارق معهم فكانوا كثيراً ما يأتون إلى حمص من حماه خلال العطلة الصيفية لزيارة جدهم زوج خالتي ، وكان طارق كثيراً ما يذهب إلى حماه لقضاء أيام معهم ، وخاصة أن ابنهم الكبير **خالد** كان من أقران طارق (وهو الآن طبيب أطفال مشهور في الولايات المتحدة الأمريكية) ، وعندما افترق عم طارق عن أم ابنته تزوج أخرى ولكنها كانت عاقراً قامت هي بتزويجه الثالثة وهي خالتي أملاً بولد يقر به عيناه ولكنها لم تنجب أيضاً . فرضي العم وزوجته بقضاء الله ، وعاشوا معاً في سعادة ، واتخذت خالتي طارقاً ولداً لها ، واتخذت الزوجة الثانية وهي الحاجة الفاضلة **زهيرة شمسي** باشا أخاه عبد الرحيم ولداً لها ، ولما كبر اتخذت إحدى بنات بنت زوجها ابنة لها ، وهي

الحاجة الفاضلة السيدة **خديجة بنت أحمد صناديقي** , وربتها منذ أن فطمتها أمها وحتى كبرت وتزوجها عبد الرحيم شقيق طارق في نفس الليلة التي تم فيها زواجي بطارق .

لذلك كنت كلما جئت لزيارة خالتي كانت تستأنس بي , فهي تحب الأولاد التي حرمت منهم . وكان طارق أصغر أولاد والديه , وهو محبوب من الجميع , ومقرب من جميع الأهل , وقد اتخذته خالتي كولد لها , وكان طارق يقول : لكل طفل أم واحدة ولكنني أنا لي ثلاث أمهات : والدتي وأختي الكبيرة وزوجتي عمي , فالكل يلاطفه ويحبه وهو مدلل من الجميع . وكان والده رحمه الله لا يناديه باسمه بل باسم (ملك) , وعندما سئل عن سبب ذلك قال : إن الملوك لا يردون الطلب الحق عن الرعية والناس , وأنا ما دعوته أو طلبت منه شيئاً إلا لبّاني به بكل نفس رضية .

كلما قدمت لزيارة خالتي تحدثني عن طارق وأعماله العظيمة , وأفعاله الخيرة واختراعاته وقراءاته وكتبه وحفظه للقرآن , فهو قد أوتي الذكاء والوقاد والأخلاق الكريمة منذ نعومه أظفاره . فكنت أعجب به وأقول في نفسي يا ليت كل شباب الأمة على هذا النحو , إذن لسمت الأمة وعاد إليها مجدها التليد الغابر .

حدثتني خالتي كيف وهو في الثالثة عشر من عمره أهداه عمه بندقية الصيد التي كان يحتفظ بها في مزرعته القريبة من حمص على طريق عام حمص طرابلس لما رأى ولعه ومحبه للصيد في بساتين حمص وخاصة في فصل الشتاء , وكيف وهو في الخامسة عشر من عمره صنع محطة إذاعة لاسلكية , وكيف وهو في السادسة عشر من عمره كان يذهب على دراجته الهوائية إلى القرى القريبة من حمص ليخطب ويصلي الجمعة بالناس بعد أن يستأذن إمام أو خطيب جامع تلك القرية , وكان ذلك بتوجيه من خال زوجة عمه العلامة الشيخ المرحوم أبو السعود عبد السلام , وكيف طلب منه أكثر من مرة أن يصعد على المنبر في جامع باب هود وبوجوده بدلاً عنه لخطبة الجمعة , وكان الناس يتعجبون , كيف يسمح الشيخ

العلامة الجليل لفتى يافعاً أن يصعد المنبر ليخطب بدلاً عنه , إلا أن صلاة الجمعة كان الشيخ هو الذي يؤمّ المصلين فيها , وكان بعدها يوجهه ويرشده إلى أخطائه اللغوية بعد الصلاة ليتلافى ذلك في مرات قادمة .

لقد كان ملازماً لأساتذته في المدرسة , ولعلماء حمص الأجلاء , وللأدباء والشعراء والموسيقيين والفنانين وغيرهم فأخذ من كل منهم بفن وعلم .

بعد كل زيارة لخالتي أعود لبيتنا وأقارن بينه وبين أقرانه من هم بنفس عمره , فأشعر أنه قد سبقهم في الفكر والعمل بسنوات طوال , وكما يقول المثل العامي : سبق عمله وتفكيره وذكاءه سنّه وعمره بسنوات طوال .

وإن كنت لا أزال أذكر عن حوادث تلك الفترة شيئاً فإنني لا أنسى عنه أموراً وحوادث ثلاث :

الأولى : عند انتهائه من التقدم لفحص شهادة الإعدادية قام مع بعض زملاءه في نصب خيمة في البرية عند سد بحيرة حمص (قطينة) وبقوا فيها عدة أيام يصطادون السمك والبط البري في النهار , وينامون فيها ليلاً على أن يتناوبوا الحراسة ليلاً فيما بينهم , وكانوا يرسلون أحدهم على دراجة هوائية هي معهم إلى المدينة ليطمئن أهاليهم وليأتيهم بالطعام , وما كانت الطريق إلى البحيرة في ذلك الحين سالكة ومعبدة , وما كان النوم في البرية آمناً لمثلهم في هذا السن . إنهم فتية آمنوا بربهم وازدادوا هدى , وهذه الحادثة إن دلت على شيء فإنما تدل على جراته وشجاعته وعدم تطرق الخوف إلى قلبه .

والثانية التي سمعتها من خالتي عنه أنه وهو طالب في الصف الحادي عشر قد طرد لمدة شهر من المدرسة وهي التجهيز الثانية آن ذاك , وحرّم من التقدم لامتحانات نصف العام , حيث كان طارق بما يسمى اليوم رئيس اتحاد الطلبة في مدرسته وبسبب موقفه من الإدارة بالدفاع عن حقوق زملائه أو الدعوة لإضراب لقضية وطنية أو ما إلى ذلك . وكان من نتيجة ذلك رسوبه في صفه لذلك رفض العودة للصف الحادي عشر وقرر دراسة الصف الثاني عشر في المعهد العربي

الإسلامي فرع الرياضيات وكان الناجح الوحيد في هذا الفرع . وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على رغبته خدمة زملاءه وتضحيته بمستقبله من أجلهم ومن أجل قضايا أمته الوطنية

والثالثة : بعد نيّله الشهادة الثانوية سافر إلى مصر أملاً أن يدرس الهندسة الكهربائية التي يحبها ويبدع فيها . حيث أنه قام بصنع محطة إذاعة لاسلكية , كما قام بصنع عدة مضخّات (مكبرات) للصوت بطاقات مختلفة باعها مع كفالة غير محدودة للعديد من مساجد وكنائس ومدارس حمص بأسعار زهيدة جداً فيما إذا قورنت بأسعار مثيلاتها الأجنبية . ولكنه وحسب مجموع علاماته في الثانوية العامة قبل في كلية الزراعة التي انتسب إليها ثم تركها , ثم جاءنا خبراً أنه التحق بدلاً عنها بالأزهر الشريف حيث التقى بالشيخ المرحوم فضل الله الأنصاري وأعجب بشعره , كما التقى بالشيخ سعيد الكحيل الذي أهده العديد من كتب الفقه وخاصة في فقه الحديث وعلوم القرآن التي كان لها الأثر الكبير في تنمية علومه الشرعية والفقهية , ثم علمنا أنه ترك جامعة الأزهر الشريف والتحق بكلية علوم جامعة عين شمس فرع الرياضيات , ثم سمعنا أخرى أنه تحول إلى قسم الفيزياء والكيمياء فيها . عام دراسي كامل تنقل فيه بين عدة كليات واختصاصات , واقتنى فيه الكتب الهامة القيمة والتي تدرس في هذه الكليات ليس للسنة الأولى فقط بل الكتب التي تدرس في كافة السنوات , وكأنه أراد بذلك أن يسبق الزمن , وقد أفاده ذلك في تنمية معلوماته وخبراته المتعددة.

وليس هذا فحسب بل تعرف على مجموعة من الطلبة الضباط الجزائريين الذين كانوا يدرسون في الكلية العسكرية فيها ورغب أن يعود معهم إلى الجزائر للمشاركة في معارك تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي .

مضى العام الدراسي الأول له في مصر , وعاد إلى سورية , فقالت لي والدتي علينا الآن أن نذهب إلى خالتك مهدية لنبارك لها ونهنئها بقدوم طارق من مصر ومن الحجاز , حيث ذهب من مصر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج , فقلت في

نفسى ، وهل من شاب يافع لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره يذهب للحج ، فالحج عند أهل حمص لا يكون إلا لمن تجاوز الخمسين أو أصبح على أبواب نهاية عمره وحياته ، حتى أن الكثيرين منهم عندما يصبح بهذا العمر لا يصبح قادراً على تحمل أعباء السفر وقضاء مناسك الحج فيرسل من ينوب عنه في أداء فريضة الحج .

ذهبت مع والدتي لزيارة خالتي فرأيت على باب دارهم شاباً يافعاً يشع وجهه نوراً وضياءً ، يلبس الجلابية البيضاء وعلى رأسه طاقية بيضاء ذو لحية سوداء خفيفة ، وهو واقف على باب الدار يستقبل أو يودع زملاءه من حمص أو زملاءه الذين يدرسون في مصر والذين أتوا من معظم البلاد السورية من حلب ودمشق وحماه واللاذقية والقامشلي وغيرها ليسلموا عليه ويهنئونه ، ولم لا وهو رئيس اتحاد طلبة الإقليم الشمالي ، هذا الاتحاد الذي أنشئ في مصر بعد قيام الوحدة بين مصر وسورية .

عندما رأيته ما تصورته إلا ملاكاً كريماً ، فتعلق قلبي به ، لا تعلق حب فتاة لشاب ، بل تعلق مريد وطالب وتلميذ بشيخه وموجهه وأستاذه ومرشده .

وكنت أعود بين الحين والآخر لزيارة خالتي خلال العطلة الصيفية وبعدها لتحدثني عنه وأسمع منها أخباره . وكنت قد تركت المدرسة بعد وفاة والدي رحمه الله بعد أن نلت شهادة الدراسة الابتدائية ، وأرسلتني والدتي إلى مشغل خياطة لأتعلّم الخياطة كعادة أهل حمص آنذاك في بناتهم ، فعلى البنات أن تعرف القراءة الكتابة فقط وأن تعرف شك الخيط ومسك الإبرة والعمل على آلة الخياطة حتى تستطيع أن تعلم أولادها وتخيّط لهم ولزوجها ثيابهم .

ثم عاد إلى مصر وتابع دراسته في السنة الأولى بكلية العلوم فرع الفيزياء والكيمياء نظراً لأنه أضع السنة الأولى متنقلاً كما ذكرت بين كليات عدة ، ويبدو أنه أراد المحافظة على دينه ونفسه وحجّه أمام إغراء الحياة في مصر لمن في سنه

وعمره , ففاتح أهله برغبته بالزواج , فطلبوا منه الحضور في عطلة نصف السنة (عطلة الربيع) لبحث الأمر .

وعندما أتى كانت والدته تريد أن تزوجه من بعض بنات قريباتها , وعمه وزوجته الحاجة زهرية كانت تريد أن تزوجه إحدى بنات ابنة عمه , ولكن خالتي التي رتبته رأته بصائب نظرها أن تجمع بيني وبينه , ففاتحت أختها (والدتي) بذلك والتي رفضت في بادئ الأمر قائلة وكيف أزوج ابنتي من شاب لا يزال طالباً يأخذ معاشه ونفقات دراسته من عمه وأبيه وأمامه العديد من سنوات الدراسة والخدمة الإلزامية العسكرية , والبنات كما تعلمين يأتيها يومياً العديد من الخاطبات , حتى أنها كانت ترفض أحياناً المثلث أمامهم من كثرة من يريد رؤيتها من الخاطبات يومياً .

ولكن خالتي ذهبت إلى والدتها الحاجة الفاضلة بديعة أخت الشيخ أبو السعود عبد السلام , ويكت أمامها قائلة : لقد حرمني الله الأولاد فاتخذت طارق ولداً والآن ترفض أختي أن تزوج ابنتها لولدي , فكلي أمل أن يكونا هما وأولادهما من بعد في كفي ويراعوني في الكبر وحين عجزني وأربي أولادهما كما ربيتهما , وإذا كان طارق لا يزال طالباً فهو شاب صغير ونشيط والمستقبل أمامه , يكفيه ما يحمله من قلب عامر بالإيمان ونفس طموحة وعزيزة . وكأنها ضربت بذلك الوتر الحساس لدى جدتي وكانت ورعة صالحة حافظة للقرآن , فأرسلت جدتي وراء أخوالي وأمي وأفنعتهن بالموافقة على هذا الزواج وأنها هي باركته ورأت الخير فيه بإذن الله .

هذه الأحداث لم تستغرق سوى أياماً قليلة من عودة طارق من مصر في عطلة نصف السنة , وحدد يوم يجتمع فيه الأهل والأقرباء في بيت أهل الخطيبة من أجل الفرحة في الخطبة وحيث يسمح فيه للخطيب أن يرى خطيبته وتراه , ولكن شاء القدر أن يتوفى عمي الذي يقع بيته بجانب بيتنا , فكان لابد من تأجيل موعد حفلة الخطوبة لأشهر , ولكن جدتي قالت لأمي : **الشرع يقول الحي أفضل من الميت** , نؤجل الموعد بضع أيام إكراماً لأهل الميت , إلى قبل عودة طارق إلى مصر بيوم

أو يومين ونجعل مكان الخطوبة بيت أختك مهدية بعيداً عن دار المتوفى , وكان ذلك . وحدد يوماً ومكاناً آخر لحفلة الخطوبة كما أرادت جدتي ,

وطلب أهل طارق منه أن يذهب لشراء خاتمي الخطوبة ففعل , ولكنه بيّت في نفسه أمر آخر حيث ذهب إلى شيخه المرحوم عبد العزيز عيون السود الذي أهداه نسخة كبيرة من القرآن الكريم بطباعة فخمة , فغلفها في غلاف جميل وأنيق , وقدمها إليّ في حفلة الخطوبة بعد أن لبسنا خاتمي الخطوبة , فأصبحت أنا والحاضرين من أهلي وأهله نتشوق لمعرفة ما بداخل الغلاف , ولما نزع الغلاف إذ بداخله كتاب الله وقد كتب عليه :

وهل من هدية أحب إلى القلب وأجمل في النفس من كتاب الله , فإلى الأنسة دلال أهديتها وأقدم لها كتاب الله ليكون لها ذخراً في الدنيا والآخرة . وكان لذلك أجمل الأثر في نفسي ونفس الحاضرين وخاصة جدتي رحمها الله . ولا أزال أحتفظ بهذه النسخة من كتاب الله ذخراً وذكرى لذلك اليوم المشهود .

عاد طارق لمصر , وصار يكتب لي بين الحين والآخر ما يتمناه لمستقبل حياتنا مع بعض , وبما يكنه صدره وقلبه من أفكار وآمال جياشة عظام , وكنت أبادله نفس الشعور والآمال والأفكار , فلا تأتي رسالة منه إلا وأبادله أخرى وبالعكس .

